

## العلوم الشرعية وأثرها في دراسة العلوم الكونية والإنسانية

أ. عبد الرحمن بلعالم

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

من الدستور الإلهي

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمَائِكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ - ٥

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

النحل: ٧٨

كلمات أثرية

محمد عبده: لم يكده ينتهي القرن الثاني من ظهور الإسلام حتى جال المسلمون في علوم السماوات والأرض، وصححوا الأغاليط، ونقحوا القواعد، وحرروا الأصول وفي مفتح القرن الثالث أقاموا المراصد، ومسحوا الأرض، وأتوا في ذلك بما هو معهود لأهل العلم.

عبد الحميد بن باديس: حافظ على عقلك فهو النور الإلهي الذي منحه لتتهدي به إلى طريق السعادة في حياتك، فاحذر كل متعلم يزهلك في علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة.

عالم غربي تسلطت الكنيسة في أوروبا ستة عشر قرناً ولم تمتحننا فلكياً واحداً، بينما أخذ المسلمون يبحثون في العلوم بعد وفاة نبيهم ببضع سنين، فلا أدري كيف أعطانا الإسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أسمائهم.

غوستاف لبون: إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين.

لم يكن للعرب في الجاهلية أي أثر في الساحة العلمية، بل لم يكن لديهم أي مظهر من مظاهر الحياة العلمية، فقد كان الجهل فيهم فاشياً، والأمية منتشرة، باستثناء بعض التفوق اللغوي، كإجادة البعض قص القصص أو إنشاد الأشعار، وهو الأمر الذي كان لا بد منه لملء ذلك الوقت الطويل الذي يقضونه ولا شاغل لهم ولا عمل يؤدونه إلا النظر إلى لاشيء أياماً وشهوراً.

لكن وبعد مجيء رسالة الإسلام - رسالة اقرأ - ارتفع ظلام الجهل، وانقشعت سحابة الأمية، وبدأ الاتجاه العلمي للإسلام يتجلى بصورة واضحة، سبياً وأنه قد توالى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تؤكد على ترسيخ

هذا الاتجاه وتعميق معانيه، فأقبل الناس على العلم بشغف كبير، وبدأوا ينهلونه بنهم، وكانت العلوم الشرعية على اختلاف فروعها أسبق العلوم التي وجدت من المسلمين عناية وحرصا كبيرين، كوئها من وسائل تثبيت الإيوان وتقويته، وتعريف الإنسان بكيفية عبادة ربّه والتقرب منه.

وفي ظلال التوجيه القرآني والنبوي استمرت العناية بالبحث العلمي، فحدثت - في وقت قصير نسبيا - نقلة علمية هائلة من طريقة النظر الجاهلية إلى الكون والحياة، إلى تلك النظرة العلمية القرآنية الجديدة، والتي أوجدت أفواجا من العلماء الموسوعيين، الذين أثروا في الدنيا وأثروا مكتباتها بغزارة إنتاجهم العلمي في شتى مجالات المعرفة، وبصورة لم تُعرف عن علماء أيّ حضارة أخرى معاصرة لحضارتهم.

وبذلك حملت الأمة الإسلامية مشعل الحضارة الإنسانية والتراث العلمي حقبة طويلة من الزمن تُربو عن خمسة قرون، ضمت بين جنباتها كثيراً من العلوم والثقافات، بعضها أنشأتها إنشاء، كالعلوم الدينية: من توحيد، وتفسير، وحديث، وفقه، وأصول، ومقارنة أديان...، وبعضها نقلتها عن غيرها من الأمم فترجمتها إلى العربية، بل صحّحتها ونظمتها وربّتها، ثم هضمتها وطوّرتها، فشكّلتها تشكيلا جديداً، وتابعت المسيرة فيها، وأضافت إليها المزيد من النظريات، والاختراعات، والاكتشافات، والمناهج، سواء في ذلك العلوم الإنسانية: كالمنطق، والفلسفة، والتاريخ، والجغرافيا...، أم العلوم الكونية: كالطب، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والحساب، والجبر، والهندسة... الخ<sup>1</sup>.

#### إشكالية البحث:

بناء على ما سبق فإنّ التساؤل الرئيس لهذه الدراسة هو: هل يمكن القول بأن العلوم الكونية والإنسانية لدى المسلمين قد نمت وازدهرت في أحضان الدراسات الشرعية؟ على اعتبار أن ما بُدّل من جهد أو جهد أو استفرغ من وسع في دراسة هذه العلوم كان بدافع عقائدي، إلى جانب أن الضرورة الشرعية تقضي بتحصيلها لوضعها في خدمة الإسلام عقيدة وشرعية، تطبيقاً للقاعدة الأصولية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)<sup>2</sup>.

وهل يمكن اعتبار مضامينها محض محاولات لفهم القوانين الإلهية في الإنسان والكون والحياة واستعمالها لصالح الإنسان؟ إذا ما وضعنا في حسابنا أنّ علماء الكونيات مثلا كانوا يجلسون في باحات المساجد وأمامهم كتبهم يتناقشون ويتناظرون، فقد ذكر الإمام الرازي أنّ عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطي لبطليموس على عمر الأبهري في المسجد، فمرّ عليها بعض الفقهاء سائلا إياهما: ما الذي تقرأونه؟ فقال الأبهري: أفسر آية من كتاب الله تعالى، فقال الفقيه: وهي قول الله تعالى: ﴿أَفَاَنْتُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>3</sup> ق: ٦، فأنا أفسر كيفية بنائها<sup>3</sup>.

#### عنوان البحث:

انطلاقاً من الإشكالية الأنف ذكرها ارتأيت أن أسم البحث بـ: \* العلوم الشرعية وأثرها في دراسة العلوم الكونية والإنسانية \*؛ فجاء اختياري للبحث في موضوع يأخذ بحظّ وافٍ من عديد فروع المعرفة.

#### دوافع اختيار الموضوع:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عوامل عدّة، بعضُها ذاتي، والبعض الآخر موضوعي، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

## أ- العوامل الذاتية:

1. الاستجابة لداعي الإسلام ونداء الضمير إلى الحفاظ على التراث الفكري والعلمي للحضارة الإسلامية واعتبار التفريط في ذلك طمسا لذاكرة التاريخ العلمي.
2. الرغبة في مواجهة التحيز الواضح في الاهتمام العالمي بتراث علماء الغرب وإهمال ما عداه، لا سيّما تراث وإسهامات علماء الحضارة الإسلامية.
3. الحرص على تأصيل الثقافة الذاتية لأمتنا وتعزيز قيمها في نفوس النشء، ليكون سلوكهم متوافقا مع فكرها، وعاكسا لقيمتها ومعتقداتها، ولتحفيزهم على الإسهام والمشاركة في بناء حضارة العصر بنصيب يتناسب مع مجد الأمة وتاريخها.

## ب- العوامل الموضوعية:

1. الأهمية الكبرى للموضوع في نطاق فلسفة التأصيل الإسلامي للعلوم، كونه يُسلط الضوء على ما في تراث المسلمين من نظريات وآراء وأفكار ذات قيمة معرفية أو منهجية في تاريخ العلم والحضارة، والكشف عن المفاهيم التي تُشكّل أساسا لكثير من المباحث العلمية الدقيقة التي تُعامل اليوم كعلوم تخصّصية مستقلة.
2. علو مكانة العلوم الشرعية في المنظومة العقائدية للأمة الإسلامية.
3. ارتباط الموضوع بعملية الإمام الواعي بالخصائص والقسيمات الحضارية للأمة الإسلامية.

## أغراض البحث:

يهدف البحث في موضوع: \* العلوم الشرعية وأثرها في دراسة العلوم الكونية والإنسانية \* إلى تحقيق الأغراض التالية:

1. إبراز الدور الرائد للعلوم الشرعية في بعث الحركة العلمية ومساهمتها الفعّالة في بناء الحضارة الإنسانية.
2. المساهمة في تصحيح حركة التاريخ العلمي ومساره.
3. تفنيد الدعوى القائلة بوجود الصّراع بين العلم والدين.
4. التصديّ لمحاولات التهوين والتشكيك والتشويه والافتراء الموجهة ضدّ العلوم الشرعية.

## آفاق البحث وفرضياته:

1. يُمكن لهذا البحث أن يُساهم في معالجة بعض الجوانب من التأصيل الإسلامي للعلوم.
2. استدعاء بعض القيم والأبعاد الحضارية الغائبة من التراث الإسلامي.
3. يُفترض في هذا البحث أن يُساهم في تصحيح حركة التاريخ العلمي ومساره، وتحريرها من التحيز والتجاهل والطمع والتشويه والطمس.

## خطة السير في البحث:

وللإجابة عن تساؤلي الإشكالية الآنف ذكرها سنقوم بمعالجة النقاط التالية:

1. تتبّع أهمّ العوامل التي ساعدت على تنشيط الحركة العلمية وازدهارها في العالم الإسلامي، على اعتبار أن أيّ نهضة علمية لا تأتي من فراغ، وإنّما هي ثمرة لمجموعة من الأسباب والعوامل.
  2. ضبط مفهوم العلم في الإسلام وتحديد أقسامه، إبرازاً للتوفيق الذي كان سائداً بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم في عصر سيادة الحضارة الإسلامية، ودفعاً لما يتبادر إلى بعض الأذهان من وهم وخلط في هذا الباب.
  3. استجلاء أبرز الملامح والعالم التي تميّز بها العلوم الشرعية والتي كان لها صدًى واسعاً وتأثيراً كبيراً على الحركة العلمية في العالم الإسلامي.
  4. الوقوف على أهمّ ما يمكن أن يتحلّى به دارس العلوم الشرعية من قيم وأخلاق علمية تظهر فاعليتها في مجال البحث العلمي، من حيث ضبط وحماية ما يُبدل من الجهود الفكرية وما يُحقّق من الإنجازات العلمية، إلى جانب بلورة الرؤية الحضارية وتوضيح غاياتها في استخدام العلوم والأشياء، ممّا يساعد على نجاح جهود التنمية ودفعها في الطريق الصحيح.
  5. رصد العلاقة المتبادلة بينها وبين غيرها من العلوم الكونية والإنسانية ومناهج البحث والاستدلال، من حيث التأثير والتأثير الواقع أو المتوقّع، لأنّ الحاجة لا تزال قائمة إلى مثل هذه الدراسات النادرة، سدّاً للثغرات وتعميقاً للمقارنات والاستنتاجات، خصوصاً مع تعرّض التراث الفكري والرصيد العلمي للمسلمين للتجاهل المتعمّد، والذي وصل في بعض الأحيان إلى درجة الازدراء والتحقير وعدم الاعتراف.
- فعسى أن يكون هذا العمل لبنة تسدّ ثغرةً في البناء الفكري المتراخي، وأن يجد القارئ فيه ما يرضي الفضول.

## العوامل المساعدة على ازدهار الحركة العلمية في العالم الإسلامي:

من الواجب قبل الحديث عن دور العلوم الشرعية في تطوير العلوم الكونية والإنسانية، أن نتحدّث عن الدوافع والعوامل التي أدّت إلى تنشيط الحركة العلمية في العالم الإسلامي، والتي كانت أساساً قامت عليه الحضارة الإسلامية، وهي كثيرة وليس من السهل إحصاؤها كلّها، وحسبنا هنا أن نُشير إلى أهمّها:

## أ) الدوافع الدينية:

لم تعرف البشرية ديناً مثل الإسلام، ولا كتاباً كالقرآن أشاد بالعلم<sup>4</sup>، وعُني به أبلغ عناية وأتمّها، دعوةً إليه، وترغيباً فيه، وحثّاً على طلبه، وحثّاً على تعلّمه وتعليمه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً بمكانة أهله، وبياناً لأدابه، وتوضيحاً لآثاره، وترهيباً من القعود عنه أو المخالفة لهديته، أو الازدراء بأهله<sup>5</sup>، ويُلاحظ ذلك من خلال الأمور التالية:

- الدعوة إلى طلب العلم على جهة الوجوب: فأول آية نزل بها الأمين جبريل على الأمين محمد عليه الصلاة والسلام، هي

قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾

العلق: ١ - ٥، وكلمة اقرأ هي أمّ العلم، لأنّه لا سبيل إلى القراءة إلّا بالتعلّم، وقد جاءت بصيغة الأمر المفيد للوجوب،

وَيُعْضَدُ ذَلِكَ حَدِيثَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: ( طَلِبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ )<sup>6</sup>، ومعنى فريضة: أنه واجبٌ دينيٌّ يؤدِّيه المسلم على جهة التَّعبُدِ، ولا يجوز له أن تشغله عنه المشاغل، أو تُقعده عنه العقبات، لأنَّه يُسأل عنه ديانة وقضاء.

- اعتبار الشارع ترك الاشتغال بالعلم أو التقصير فيه جريمة تستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة: وهذا ممَّا انفرد به الإسلام، لحديث ابن أبي أزي: ( ما بال أقوام لا يُفقهون جيرانهم، ولا يُعلِّمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرهم، ولا ينهونهم؟! وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتعظون؟! والله! ليعلمن قوم جيرانهم، ويُفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرهم، وينهونهم، وليتعلَّمنَّ قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتعظون، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا )<sup>7</sup>.

- ذم الشارع للجهل كونه أصل الفساد: كما جاء في قوله تعالى على لسان نبيِّه موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(١٧)</sup> البقرة: ٦٧، وقوله خطاباً لنبِيِّه مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٢٥)</sup> الأنعام: ٣٥، وفي ذلك تبيين لمكانة العلم، فبضدِّها تميَّز الأشياء، والضدُّ يُظهر حُسْنَ الضدِّ، ولابن القيم كلام قيِّم في معرض حديثه عن العلم: ( لا ريب أنَّ الجهل أصل كلِّ فساد، وكلُّ ضرر يلحق العبد في دنياه وآخره، فهو نتيجة الجهل، وإنَّ النفوس الجاهلة التي لا علم عندها قد ألبست ثوب الدُّل، وإنَّ شجرة الجهل لا تُثمر إلاَّ القبيح من الأقوال والأفعال والنيات والمقاصد )<sup>8</sup>.

- تذكير الإنسان بما منحه الله تعالى من وسائل تمكنه من طلب العلم: فالإنسان وإن كان يولد خلوًّا من العلم، فإنَّ الله تعالى فطره على حُبِّ المعرفة والاستطلاع، ووهبه من الإمكانيات، وسخَّر له من الأدوات والوسائل، ما يستطيع به أن يَعْرِف نفسه، ويكتشف العالم من حوله، مصداق قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>(٧٨)</sup> النحل: ٧٨، واعتبره مسئولاً عنها فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾<sup>(٣٦)</sup> الإسراء: ٣٦

- علو منزلة العلماء: فالإسلام أوَّل عقيدة كرَّمت العلم وأهله، وجعلت النَّاس تهوي أفئدتهم إلى طلبه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْبَوْنَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٩)</sup> الزمر: ٩، وقال: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾<sup>(١١)</sup> المجادلة: ١١، وفي حديث أبي ذرِّ الغفاري: ( وإنَّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتَّى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّها ورثة العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافٍ )<sup>9</sup>.

- عناية القرآن الكريم بعلماء الطبيعة والكونيات: يفهم ذلك من تدبُّر الآيات القرآنية التالية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ ﴾<sup>(٢٧)</sup> ومن النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾<sup>(٢٨)</sup> فاطر: ٢٧ - ٢٨.

- الاحتراف بطلبة العلم: فقد أوصى المصطفى عليه الصلاة والسلام الناس بطالب العلم خيراً، ضارياً بالمثل بنفسه، لما أقبل عليه صفوان بن عسال رضي الله عنه، - وهو مُتَكَيِّفٌ في المسجد على بُردٍ له أحمر-، وقال له: يا رسول الله إني جئت أطلب

العلم، فقال: (مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم لتتحف به الملائكة، وتظللّه بأجنحتها، فيركب بعضها بعضاً حتى تعلو إلى السماء الدنيا من حبّهم لما يطلب)<sup>10</sup>.

- الإشادة بالعلم والعقل والفكر: فكثيراً ما يمدح الوحي الإلهي التّعقل والتفكير، ويُشيد بالعلم والتدبر والتفقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَيْلَكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>(٤٣)</sup> العنكبوت: ٤٣، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين)<sup>11</sup>.

(ب) الدوافع الاجتماعية:

- الاستقرار الاجتماعي: فقد شهد العالم رسوخ قدم الثقافة الإسلامية في الأمصار، بسبب انتشار الإسلام، ونُمو سلطانه السياسي، واستقرار المسلمين اجتماعياً - بعد القضاء على الفتن والثورات -، وما أروع قول أحمد تيمور: (لما ألقوا عصا التسيار، واطمأنت بهم الدار، لم يلبثوا أن نشطوا للفتح الثاني، وهو الفتح العلمي، فأتوا في الفتحين على قصر المدة، بما لم يسبق له مثيل في الأمم السالفة، وكان من ذلك أنهم ملكوا ناصية العلم كما ملكوا ناصية العالم)<sup>12</sup>.

- اختلاف الحياة الاجتماعية بالعراق والشام عن الحجاز: الأمر الذي جعل الحاجة ماسة لنوع من العلوم كان لا بُد منها، لتسهيل القيام بالفروض الدينية، لاسيّما بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، والتطورات الاقتصادية، وما تبعها من إصلاح للأراضي، وزيادة الدخل، وتطور التجارة، وارتفاع مستوى المعيشة...<sup>13</sup>.

- عناية الخلفاء بالعلم وتشجيعهم عليه وتقريبهم لأهله: فقد كانوا يعظمون العلماء<sup>14</sup>، ويُغدقون عليهم العطاء حتى إن الخليفة المأمون وُصف بأنه سحابة مُنّهلة على العلماء.

- التحرر من العصبية الجاهلية: وبذلك ساهم الموالى بدور كبير في النهضة بالعلم، فقد انطلقوا بعد أن حرّهم الإسلام من العبودية والعصبية، ورفع مكانتهم بهذا الدين والتفقه فيه<sup>15</sup>.

- اتصال المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى: عن طريق اللقاء المباشر أو عن طريق ترجمة تراثهم<sup>16</sup>.

- ظهور استخدام الورق: حيث أنشئ مصنع للورق ببغداد في عهد الرشيد ففشت الكتابة فيه لخفته، وغلبت على الكتابة في الجلود والقراطيس<sup>17</sup>.

مفهوم العلم في الإسلام

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الإسلام - خاتم رسالات السماء - رسالة علمية تربوية، تهدف إلى إسعاد الإنسان وتحقيق الخير له، فأخرج الأمة الأمية من الظلمات إلى النور، وفتح عيونها على المعرفة، وأيقظ عقولها إلى نداء السماء، وأزال الحجاب أمامها عن الكون والحياة، فقام عليه الصلاة والسلام في الناس معلماً ومرتبياً، والتفّ حوله الصحابة الكرام، مُتجاوبين مع دعوته حق الاستجابة، فأقبلوا على العلم بشغف كبير، وبدأوا ينهلونه بنهم، وجمعوا بين مختلف المعارف الدينية، واللغوية، والتاريخية، والعقلية، دون أن تتميز عن بعضها البعض في ذلك العهد ولا في العهد الذي يليه، إلا بدروس خاصة، وأوقات محدودة، لأن الإسلام لم يُخصّص تلك الإشادة والدعوة بعلم دون آخر، بل جعلها شاملة لكل علم يفيد الناس أفراداً وجماعات في العاجل والآجل، في الدنيا والآخرة، ويُحقّق مصالحهم بجلب النفع لهم ودفع الضرر

عنهم، فكلُّ ذلك من الإسلام ويدعو إليه، وعليه فجميع العلوم في الإسلام مطلوبة ولا يقتصر الأمر على علم الشريعة أو العلم الديني، كما يتبادر إلى بعض الأذهان، ممَّا ذاع في عهود التخلف عن القرآن<sup>18</sup>، ورحم الله ابن باديس إذ يقول: (فاحذر كلَّ متعلم يزهدك في علم من العلوم، فإنَّ العلوم كلُّها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية، ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة)<sup>19</sup>.

ومع هذا فإنَّ للعلماء عملاً منهجياً يُدعى بالتصنيف، ومعناه تقسيم العلوم حسب موضوعها وتفرعها وتجميع ما يشترك منها في الموضوع والمنهج وربطها في إطار كلي<sup>20</sup>، وهو من الموضوعات التي تفتقر كثيراً إلى اهتمام الباحثين في فلسفة العلوم عبر مراحلها، القديمة، والإسلامية، والحديثة، والمعاصرة، على حدِّ سواء، ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ أيَّ تصنيف للعلم في أية مرحلة من تاريخه يكون تصنيفاً مؤقتاً، وهو وإن كان كذلك فإنَّ الحاجة إليه تبقى دائمة ملحةً لأنَّه يُضفي دقَّةً على المصطلحات الفنية في العلوم.

وباستقراء تاريخ العلم في الإسلام نجد محاولات عدَّة لتصنيف العلوم، نؤثر منها تصنيف مؤرِّخ العلم العلامة ابن خلدون لأمرين اثنين: أوَّلها أنَّه يأتي في نهاية عصر العلم الإسلامي بعد اكتناله، وثانيها أنَّه يعرِّض لتاريخ العلم في إطار التاريخ العام للمجتمع الإسلامي، ومن ثمَّ فهو لم يفصل بين العلم وبيئته وفلسفته.

ويقضي تصنيف ابن خلدون، طبقاً لما جاء في المقدمة بتقسيم العلوم إلى قسمين رئيسين: قسم مستند إلى الواضع الشرعي كعلوم الدِّين واللُّغة، ويطلق عليه اسم (العلوم النقلية)، وقسم يهتدي إليه الإنسان بفكره، كالعلوم الرياضية والطبيعية والمنطق والميتافيزيقا، وتُسمَّى (العلوم العقلية)، أو (علوم الفلسفة والحكمة)<sup>21</sup>، وقدَّم ابن خلدون تعريفاً لأصول هذه العلوم وفروعها، وتناول بالتحليل والنقد كلَّ ما يعرض من أحوالها واعتبر التاريخ لها جزءاً عضوياً من تاريخ المجتمع الإنساني.

وبناء على ما سبق فالعلوم الإسلامية تشمل قسمين كبيرين ينضوي تحت كل منهما علوم عديدة، وهذان القسمان هما:

- 1) العلوم الكونية: وهي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بما أنعم الله عليه من مدارك بعد البحث في ظواهر الكون والحياة كعلوم اللسان، والعلوم الاجتماعية، والعلوم العقلية والنفسية، والعلوم الطبية، وعلوم الطبيعية والعلوم التطبيقية... الخ.
- 2) العلوم الشرعية: وهي العلوم التي مصدرها الوحي ولا دخل للإنسان فيها وتُعنى بأمور العقيدة والتشريع والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع، كعلم العقيدة، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم التشريع (الفقه)، وأصوله، ومقاصده، وتاريخه... الخ.

#### خصائص العلوم الشرعية

تَحْتَلُّ العلوم الشرعية مكانة سامية في حياة المسلمين، لذا اهتموا برفع لوائها، وقاموا على غرسها، وسقايتها، والإشراف عليها، فأينعت ثمارها في أيديهم، ونشروها في العالم، وخالَّفوها ثرائاً فريداً وثميناً لمن بعدهم، وتركوا بصماتهم عليها في أقطار المعمورة، متبلورة في ملايين المخطوطات في دور الكتب ومكتبات العالم أجمع، واستفادت منها أمم الأرض وشعوب القارَّات، وسرق كثيرون منها النظريات ونسبوا لأنفسهم<sup>22</sup>.

ومرد ذلك إلى ما تمتاز به من فضائل عن غيرها من العلوم، وأهمها:

- (1) أنها تحقق النفع والمصلحة للبشرية جمعاء في الدنيا والآخرة، نظراً لعدم المحدودية والانحصار في النظرة والميدان من حيث: اللون والجنس والعمر والزمان والمكان، انطلاقاً من إنسانيتها وشمولها وعالميتها.
  - (2) أنها توصل إلى الخير المطلق والسعادة الكاملة، كونها وسيلة لتثبيت الإيمان وتقويته، وطريقاً للتقرب من الله والزلقى إليه، وإخلاص العبودية له، والعمل على مرضاته، والإطلاع على حقيقة الكون والإنسان والحياة، والوصول إلى تفسير وتصور كبرى اليقينيّات في معرفة الخالق ووظيفة المخلوق.
  - (3) أنها ضمان أكيد في الحاضر والمستقبل لتوجيه العلوم نحو فائدة البشرية لا لتدميرها، ونحو خير الإنسان لا لإبادته، ونحو المصلحة العامة لا باتجاه الأنانية والفردية والعنصرية<sup>23</sup>.
  - (4) أنها تتسم بتعدد مصادر المعرفة وعدم محدودية وسائل الاختيار للمعارف، ما بين وحي<sup>24</sup> وعقل<sup>25</sup> وإلهام<sup>26</sup> وتقوى<sup>27</sup> وحواس<sup>28</sup>.
  - (5) أن أهم مصادر المعرفة فيها هو الوحي الإلهي القادر على الإحاطة التامة والمعرفة الشاملة المستغرقة<sup>29</sup>.
  - (6) أنها موجهة من حيث الأسس والبواعث، والمناهج، والأهداف والغايات.
  - (7) أنها الأساس لبناء سائر العلوم والفنون، والمنطلق للحضارة والتقدم، فهي الباعث على المعرفة لاكتشاف الوسائل التي تهيئ للإنسان القيام بوظيفة الخلافة في الأرض<sup>30</sup>.
- ولذلك تعتبر بقية العلوم إمّا آلة ووسيلة للعلوم الشرعية، وإمّا نتائج وآثاراً صالحة تنبثق عنها، فليعلم ذلك.

#### الفوائد العلمية لدراسة العلوم الشرعية

يتركز في حَسِّ الدارس للعلوم الشرعية جملة من المواصفات الرائعة، والفوائد العلمية النادرة والتي لها عميق الأثر في تملك مهارات البحث والنظر العقلي والعلمي، لأنّها بمثابة الأصول والمبادئ للمنهج العلمي، لذا يتوجب علينا الكشف عنها لتكون هادياً ومرشداً في دنيا البحث العلمي، وسبيلاً إلى الجنة بإذن الله تعالى، وهي:

#### 1) الأخذ بالأسباب والإيمان بالسببية

ومعنى ذلك: البحث بجهد واجتهاد عن العلل والعوامل التي أدّت أو تؤدي أو كلاهما إلى حدوث ظاهرة معينة، وهذا المفهوم أساسي في حياة عالم الشرعيات، وتكوين عقليته، وبناء منهج تفكيره، لذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت: ٢٠ .

فعلم العقيدة الإسلامية مثلاً يُعلّم صاحبه أنّ الله سبحانه وتعالى مكّنه من القيام بمسؤولياته والتعبير عن إرادته بواسطة الفعل بالأسباب وما تقتضيه من علاقات السُنن والنواميس، ومن ثمّ يتركز في حسّه أنّه لا مجال للصدفة والعشوائية والفوضى في خلق الله تعالى وأحكامه.

على أنّ المقصود بالسببية هنا ليس السببية المطلقة، وإنّما السببية النسبية، فالأولى: تعني الإيمان بأنّ لكل حدث في الكون سبب مادي، يجب البحث عنه والتعمق في دراسته فيترتب عن ذلك ردُّ كل الظواهر الكونية إلى عوامل مادية ملموسة.



والثانية: تعني الإيمان بما سبق، لكن مع مراعاة الإيمان بأمرين آخرين هما:

1. أن الأحداث وأسبابها مردها إلى الله تعالى لأنها من خلقه.
  2. أن هناك أموراً معينة تحدث بشكل مغاير للسنن الكونية، وهي المعجزات التي يريد الله من ورائها أن يزداد الناس إيماناً به، وأن يدركوا أنهم يجب أن يتخطوا بعقولهم حدود الماديات الظاهرة أمامهم<sup>31</sup>.
- ويترتب عن هذا:

- استعمال العقل في المجالات التي يمكن أن يتوصل فيها إلى الحقيقة.
- الابتعاد عن اللغو والعبث والأوهام والظنون.
- منع الزجّ بالعقل في موضوعات لا يملك أدنى مقدمات حولها.
- تكريم العقل وعدم إهانته والحطّ من قدره.
- الحفاظ على المنهج من أن يخرج عن الإطار العلمي الصحيح<sup>32</sup>.

## 2) الاتصاف بالموضوعية

إن دراسة العلوم الشرعية تجعل الباحث المسلم يتعد عن الخضوع لهوى النفس، وتلزمه الأخذ بالموضوعية عند معالجة القضايا والمسائل العلمية، وبذلك يعصم من التحيز ومن الشكليّة المفرطاً وتصبح دراساته متجاوزة مرحلة الوصف إلى مرحلة التقييم.

غير أنه لا ينبغي فهم الموضوعية بأنها: خلوّ ذهن الباحث من أيّ فكرة مسبقة ولو على شكل مفاهيم إجرائية، لأنها بهذا المعنى لا وجود لها البتّة، وإنما هي معيار أساسي للبحث يقوم على الصدق والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصية، ويهدف إلى وصف الموضوع أو الظاهرة وصفا يعتمد على معطيات الواقع لا على متطلبات المثال المرتجى أو المؤثرات الخارجية<sup>33</sup>.

وبالعودة إلى علوم القرآن وإمعان النظر في مبحث جمع القرآن الكريم لوجدنا أن هذه العملية تعدّ أصدق نموذج للموضوعية التي أمر الإسلام أتباعه أن يلتزموا بها، فالكيفية التي جمع بها القرآن الكريم تبرز لنا مدى الدقة والتحري وعدم التحيز في التجربة، ولو رجعنا إلى علوم الحديث فاطّلنا على المعايير التي التزم بها المحدثون وعلى رأسهم الإمام البخاري وتلميذه الإمام مسلم في عملية تجميع الأحاديث النبوية<sup>34</sup> لوجدناها تمثل دليلاً آخر على التزام علماء الشريعة لمنهج التعامل مع أصول الاستقامة العلمية من دقة وصدق وتجرد وعدم أتباع للهوى وثبّت في الحكم عن موضوعات البحث.

## 3) التواضع العلمي

حيث أن دراس الشرعيات يدرك محدودية علمه وأنه مهما زاد واتسع فإنه سيظل قاصراً، لا يساوي شيئاً مما هو في علم الله وملكوته الواسع الفسيح، وآية ذلك أن دراسة علم التفسير<sup>35</sup> مثلاً تجعل الإنسان يدرك جازماً أن له قدرات وحدوداً معينة لا يجب أن يتعدّها، كما لو وقف عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿ هَاتِنْتُمْ هَتُولَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ آل عمران: 36، وقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ يونس: 37، وقوله: ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦) يوسف: 38، وقوله: ﴿ وَسَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ الإسراء: 98، وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ طه: 40، وقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ الإسراء: ٨٥

هذا وإن إدراك محدودية الإنسان لعلمه ونسبته يقتضيان منه:

- التواضع أمام عظمة الله وعلمه الواسع الشامل لجميع الكليات والجزئيات في عالمي الغيب والشهادة.
- عدم التناول على ما اختصَّ الله بعلمه من أمور غيبية.
- التخلّي عن التكبر والغرور بعلمه ومعرفته.

وهذا من أعز ما قدمته علوم الشريعة للمنهج العلمي، إلى جانب ترسيخ مبدأ: (لا أدري)، لمن سُئل عمّا لا يدري<sup>41</sup>.

#### 4) التفتح الذهني

ويُقصد به رفض التزمّت والجمود العقلي ولهذا الصّفة مكانة كبيرة في كل من:

1. الإسلام، فقد ذمَّ الله تعالى بني إسرائيل ولعنهم لرفضهم أن يكونوا متفتحين بقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْيُومُونَ ﴿٨٨﴾ البقرة: ٨٨، كما حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على تحرير عقولهم من كل قيد يعطل حركة العقل ويمنعه من الانطلاق الهادف نحو بلوغ غايات مرغوب فيها، فقال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)<sup>42</sup>.
- ولعلّه من المفيد النظر إلى العرب في باديتهم قبل الإسلام، لم يكونوا يهتموا إلا بالشعر والحروب القبلية، ولم يفكروا في علم أو اختراع أو بحث تجريبي، ولما جاء الإسلام بعثهم بعثا وجعلهم ينشطون في كل ميادين النشاط البشري، في العلم والعمل في الحرب والسياسة في الفقه والتشريع... الخ.
2. منهج البحث العلمي، ذلك أن الشخص المتفتح ذهنياً يتسم بـ:
  - يحترم وجهات نظر الآخرين وآرائهم ويأخذها بعين الاعتبار.
  - يكون مستعداً لتغيير آرائه وأفكاره في ضوء ما يستجدُّ من أدلّة، أو يتخلّى عنها إذا ثبت عنده خطؤها.
  - يرفض تسلُّط الرأي<sup>43</sup> والأفكار المقيّدة لحرية التفكير.

ومن أراد يستوضح ذلك الأثر في الواقع الفعلي فعليه بدراسة علم الخلاف أو الفقه المقارن، الذي قال في بيان أهميته العلامة ابن خلدون: (وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم، ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرمون الاستدلال عليه)<sup>44</sup>، ثم إن الاقتراب من حقيقته يقلل من شقة الخلاف، ويدعم أدب الاختلاف، ومن الشواهد الدالة على ذلك: أن هارون الرشيد استخلف أبا يوسف صاحب أبي حنيفة في صلاة الجمعة، فصلّى بالناس، ثم ذكر أنه كان محدثاً فأعاد ولم يأمر الناس بالإعادة، عملاً بمذهب أهل المدينة، مع أن مذهبه الإعادة على الجميع، فقيل له في ذلك؟ فقال: (ربّما ضاق علينا الشيء فأخذنا بقول إخواننا المدنيين)<sup>45</sup>.

#### 5) حب الاستطلاع

وهو فضول الفرد وميله إلى استكشاف الأحداث والظواهر والأحكام والتساؤل عن أسبابها استجابة لدعوة القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل: ٧٨، وقوله: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ يونس: ١٠١، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ الحج: ٤٦، ... إلخ من الآيات التي تطرح أمام المسلم ظواهر مختلفة ليستطلعها ويتأملها ويتعمق في فهمها ويدرك أسبابها، والفرد المحب للاستطلاع يكون:

- دقيق الملاحظة.
  - كثير القراءة بحثاً عن المعلومات.
  - كثير التساؤل عن أسباب الأحداث والظواهر والأحكام.
  - شديد الرغبة في الاستزادة من المعرفة للأسباب الحقيقية للظواهر.
  - يحسن استخدام حواسه في اكتشاف الأحياء والجمادات.
- ولو تفحصنا مبحث تحليل الأحكام من علم مقاصد الشريعة الإسلامية فحسب، لكان كافياً لتحفيز دارس العلوم الشرعية إلى حب الاستطلاع<sup>46</sup>.

### 6) الأمانة الفكرية

وتعني النزاهة في البحث عن الحقائق بعيداً عن الخلفيات الخاطئة والتعصب بشئ أنواعاً مع نسبة الأقوال لقائلها، والاعتراف بالفضل العلمي لصاحبه، وما أحسن قول ابن الهيثم: ( إذا وجدت كلاماً حسناً لغيرك فلا تنسبه إلى نفسك، واكتف باستفادتك منه فإن الولد يلحق بأبيه والكلام بصاحبه، وإن نسبت الكلام الحسن الذي لغيرك إلى نفسك، فينسب غيرك نقصانه ورذائله إليك )<sup>47</sup>.

والفرد الأمين فكرياً هو الذي ينقل نتائج الأبحاث والدراسات أو الأعمال التي قام بها الآخرون، أو التي قام بها هو بنفسه دون تحريف، ويُدوّن الملاحظات كما هي حتى ولو تعارضت مع فروضه أو تصوّراته، وفي الحديث: ( تَنَاصَحُوا فِي الْعِلْمِ فَإِنَّ خِيَانَةَ أَحَدِكُمْ فِي عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِهِ وَإِنَّ اللَّهَ سَائِلِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )<sup>48</sup>.

ويمكن لدارس العلوم الشرعية أن يُحصّل هذا الأمر من خلال دراسته لعلم الأصول، أو الفقه المقارن، أو علم مقارنة الأديان، أو علم الفرق.

### 7) التحرر من الظن والانحرافات والمعتقدات الخاطئة

تُوصّل العلوم الشرعية دارسها إلى العمل على تمحيص الحقيقة، وعدم التأثر بمقرّرات سابقة، أو بمقرّرات ذاتية لا برهان عليها، وتدفعه إلى بناء أحكامه على أساس من الحقائق والمسلمات، لا على مجرد الأوهام والظنون والتخمينات وعندئذ يصير تفكيره علمياً لا خرافياً أسطورياً ولا يفكر عن طريق غيره وإنما تفكيره نابع في الواقع من عقيدة تأمره بعدم الأخذ بالظن في الأمور اليقينية، كما تمنعه من أن يتيقن في الأمور الظنيّة<sup>49</sup>، وهذا الأمر يلحظ وبجلاء من خلال دراسة علم العقيدة الإسلامية الذي ينأى بالمسلم عن أن يبني إيمانه وتفكيره على غير اليقين الجازم والعلم الواثق، لأنّ مصدر هذه العقيدة دعا إلى:

• محاربة استعمال الظن في التفكير، فقال: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢٤) الجاثية: ٢٤.

• التخلي عن الظنّ والمطالبة بتقديم الدليل اليقيني فقال: ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨) الأنعام: ١٤٨.

• التنديد بالأخذ بالظن، فقال: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٦٦) يونس: ٦٦.

### 8) التريث في إصدار الحكم قبل تبين الأدلة

وموقع هذه السّمة في ميزان البحث العلمي كبير جداً والعلوم الشرعية كلّها دعوة صريحة للتبني والتثبت قبل إصدار أيّ حكم من الأحكام، لأنّ مرجع العلوم الشرعية إلى القرآن الكريم، وفي القرآن الكريم آية تُعدُّ بحقّ دستوراً للإنسان المسلم عموماً، ولدارس الشرعيات على وجه الخصوص، وهي قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٦) الحجرات: ٦، والمبتغى من ذلك عصمة المسلم من الوقوع في الخطأ، نتيجة الفهم الخاطيء، أو القاصر<sup>50</sup>.

### 9) الدقّة والإتقان

وهما المعيار الذي توزن به قيمة العمل من حيث السّمو والضعفة، ومن هنا نجد العلوم الشرعية تدعو دارسها إلى التزام ذلك في كلّ الأعمال، ولو رجعنا إلى علم المصطلح وتأملنا ملياً في الصّرامة العلمية التي ألزم المحدثون بها أنفسهم، عند تجميعهم لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لأدركنا أيّ مدى بلغت الدقة والإتقان في حياتهم<sup>51</sup>، امثالاً لحديث: ( إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه )<sup>52</sup>، والأمر ذاته نجده عند الفقهاء، فالأحكام الفقهية محاطة بإجراءات صارمة في كثير من الأحيان، لتكون الدقّة جبلةً في كلّ مسلم فضلاً عن الفقهاء<sup>53</sup>.

### 10) الشك المنهجي

تشجع مناهج البحث العلمي الشك وتنميته ذلك أنّه يُثري البحث، ويوصل إلى اليقين، ويكسب الثقة الكبيرة بالتراث، وكان لعلماء الشريعة قصب السبق في إعلاء شأن الشك المنهجي في الفكر الإسلامي، فمثلاً استخدمه المحدثون في التعامل مع علم الرواية، إذ الأصل عندهم عدم الثقة بالناقل والمنقول، حتى يحصل اليقين، أو يغلب الظنُّ بصحّته ولهذا أوجدوا علم الجرح والتعديل، وهو علم مبني أساساً على الشك، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن مهدي، أحد كبار علماء الحديث ونقّاده: ( خصلتان لا يستقيم فيهما الشك الحكم والحديث )<sup>54</sup>.

كما استخدمه علماء الكلام كمصدر للمعرفة الصحيحة، حيث يقول الجاحظ: ( فلم يكن اليقين قط حتى كان قبله شك ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال من الشك )<sup>55</sup>، وقال: ( اعرف مواضع الشك وحالاتها

الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له وتعلم الشك في المشكوك فيها تعليماً فلو لم يكن ذلك إلا تعرف التوقف ثم الثبوت لقد كان ذلك مما يحتاج إليه<sup>56</sup>.

### أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم الكونية والإنسانية

تقرّر سابقاً أنّ علماء السلف لم يفرّقوا بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم الكونية والإنسانية، لعدم ورود النص الشرعي بذلك، إلى جانب احتكاك المسلمين بغيرهم من الأمم، واطّلاعهم على ثقافات وعلوم جديدة، هم في حاجة ماسّة إليها، لتسهّل عليهم القيام بالفرائض الدينية، وتساعدهم على تنظيم شؤونهم الإدارية، وضبط حساباتهم المالية، لا سيّما بعد التوسّع في الفتوح، ووفرة الخراج، واستفحال الحضارة<sup>57</sup>، فالحكمة ضالة المسلم أتى وجدها فهو أحقّ بها، فكان من توابع ذلك اتّجاه النفوس إلى الحياة الفكرية، والتوسّع في طلب العلم، فأصبحت الفاعلية الحضارية تمزج النظري بالعملي، ليُمثّل الأول روح الثاني، وهذا المنهج الإسلامي الأصيل، دفع بالمسلمين إلى محاوره الكون واستنطاقه لمعرفة النواميس الإلهية الضابطة له، كما أوجد لديهم العقلية الواقعية العملية<sup>58</sup>، التي تمكّنهم من تطويع الكون لهم حسب نظرية التسخير، وبذلك حصل لديهم تقدّم علمي ضخم، في مختلف مجالات العلوم والمعرفة، ممّا تقضي الضرورة بتحصيلها لتوظيفها في خدمة الشرع ومقاصده، تطبيقاً للقاعدة الأصولية: ( ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب )<sup>59</sup>، وفيما يلي عرض لأثر العلوم الشرعية في دفع المسلمين لدراسة بعض العلوم وتطويرها، ودلائل التفاعل بينها، ذلك أنّ بينها شيئاً كبيراً من التمازج، إذ لم يكن ثمة تحديد دقيق للأطر والدوائر التي يختصّ بها علم دون آخر، خاصّة في فترة نشأة تلك العلوم، كما أنّ العلماء أنفسهم لم يتخصّصوا في فروع تلك العلوم بعينها، وإنّما كانت دراساتهم فيها موسوعية:

### أ- أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم الإنسانية

#### أ. أثر العلوم الشرعية في دراسة علوم اللسان

لا يجهل أحد ما أوتيّه العرب من فصاحة وبلاغة، فقد سارت بخطبهم وقصائدهم الركبان، وعُلّقت رواعهم على جدران بيت الله الحرام، ولا تزال إلى اليوم تُلهم النقاد والأدباء والشعراء ما رقّ ودقّ وعزّ وشقّ من لطيف العبارة وعجيب البيان، لكنهم لم يكونوا يمتلكون كتاباً أمّا يرجعون إليه في تمييز الصحيح من الدخيل، ويقعدون على أساسه قواعد نطقهم. كما أنّ إرهافات الشقاق اللغوي<sup>60</sup> كانت متهيئة تماماً لتمضي في سبيلها المتناكسّ يشجعها على ذلك: نموّ العصبيّة القبليّة، والاتصال بالعجم وكثرة مخالطتهم، وتوزّع ولاءات العرب بين الفرس، والروم، والأحباش، وغياب أيّ شكل جدّي من أشكال الوحدة العربية المطلوبة.

وفي ضوء هذه المعطيات يمكن تصور المستقبل الذي كان ينتظر اللغة العربية، لولا الثروة اللغوية التي أعقبت نزول القرآن الكريم<sup>61</sup>، حيث أدّت جهود علماء الشريعة في البحث عن معانيه، وتفسير غريب آياته وألفاظه، وبيان مشكله، وتوضيح أحكامه، وضبط قراءاته وعللها إلى جمع اللغة عن القبائل العربية الفصيحة، وتمييز الأصيل من الدخيل، فتبوّأت اللغة العربية مكانتها، الأمر الذي مكّن لبدء الجهود في تأصيل القواعد وتحريرها، وظهور الدراسات اللغوية وتطوُّرها، ففتح عن ذلك علوم فقه اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والنقد الأدبي، وما لحق بها من معارف تفصيلية

جعلت اللغة العربية من أضبط اللغات قواعدا وأكثرها تعليلا وأوضحها معالجة، وقد حاز قصب السبق في ذلك علماء مدينة البصرة التي كانت منبع هذه الدراسات. إذ يقول ابن سلام الجمحي: ( وكان لأهل البصرة قدمة<sup>62</sup>، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية<sup>63</sup> وأكد ذلك ابن النديم في الفهرست<sup>64</sup>، وكانت الكوفة مركزا ثانيا ومنافسا على الرغم من تأخر ظهور تلك الدراسات بها<sup>65</sup>.

ومن جُماع ما تقدّم يُخلّص إلى أن السبب المباشر الذي أظهر الدراسات اللغوية إلى ساحة المعرفة، ارتباطها بالدراسات الشرعية القرآنية، ولولا ذلك لأصبحت العربية أثرا بعد عين.

### 1. أثر العلوم الشرعية في دراسة علم النحو

نشأت اللُّغة العربية في أحضان جزيرة العرب، خالصة لأبنائها مُدُّ وُلدت، نقيّة سليمة مما يشوبها من أدران اللُّغات الأخرى، ولبثت كذلك أحقابا مديدة، إلى أن سطع نور الإسلام، ونفسحت رقعة البلاد بالفتوحات، واختلط العرب بالعجم اختلاطا كبيرا، فترسّب الضعف إلى السليقة العربية، وطَفِقَ يزداد رويدا رويدا، حتى قال أبو الطيب: ( واعلم أن ما اختلَّ من كلام العرب وأحوج إلى التعلُّم: الإعراب، لأنَّ اللّحن ظهر في كلام الموالي والمتعريين من عهد النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته، فقال: (أرشدوا أحاكم فقد ضلَّ)<sup>66</sup>، وقال ياقوت الحموي: ( مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يُسيئون الرَّمي، ففرعهم، فقالوا: إنَّا قومٌ متعلِّمين، فأعرض مغضبا وقال: ( والله لخطوكم في لسانكم أشدُّ عليّ من خطنكم في رميكم)<sup>67</sup> وذكر يحيى بن كثير أن كاتباً لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه كتب له رسالة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاء فيها: (إلى عمر بن الخطاب من أبو موسى )، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: ( إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطا واعزله عن عملك)<sup>68</sup>.

وعندئذ انبرى الصّدر الأوّل من علماء الإسلام للتصديّ لهذا السّيل الجارف الذي كاد يكتسح العربية بما قذف فيها من لحن تسرّبت عدواهُ إلى القرآن والسّنة، بما هُدوا إليه وسموه علم النحو، قال ابن خلدون: ( فلمّا جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملّك الذي كان في أيدي الأمم والدُّول، وخالطوا العجم، تغيّرت تلك الملّكة بما ألقى إليها السّمع من المخالفات التي للمتعريين والسّمع أبو الملّكات اللّسانية ففسدت بها ألقى إليها مما يُغيّرها لجنوحها إليه باعتياد السّمع وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملّكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملّكة مطّردة شبه الكليات والقواعداً يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويُلحِقون الأشباه بالأشباه مثل أنَّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغيّر الدّلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعراباً وتسميته الموجب لذلك التغيّر عاملاً وأمثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصّة بهم، فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو)<sup>69</sup>.

وقد كان لعلماء الشريعة اليد الطولى في تطوير مباحث هذا الفنّ، حرصاً على خدمة القرآن والسّنة، وحفاظاً على فصاحة الكلام، واتقاء لوباء اللّحن الزّاري بصاحبه، وبهذا كان علم النحو أشدَّ العلوم تداخلاً مع علوم الشريعة، حيث أن الفقهاء كثيراً ما أداروا مباحث الفقه على أسس نحوية، ومن أوائل من فعل ذلك: محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، فقد

ضمّن كتاب الأيمان من كتابه \*الجامع الكبير\* مسائل فقه تبنّي على أصول العربية، لا تتضح إلا لمن له قدمٌ راسخٌ في هذا العلم<sup>70</sup>، إلى جانب مناظراته<sup>71</sup> ومناظرات صاحبه أبي يوسف<sup>72</sup> ثم توالى بعدها الجهود الفقهية المتأثرة بقواعد النحو، وبخاصّة في كتب الفروع، كوجيز الغزالي، وشرحه الكبير للزّافعي ومُهدّب الشيرازي، وروضة النّوي... الخ، وذروة التّفاعُل تجلّت في كتابي: \*الكوكب الدّري في ما يتخرّج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية\* للإمام الإسني، و\*الصّعقة الغضبيّة في الردّ على مُنكري العربية\* للعلامة الطوفي<sup>73</sup>.

ولابدّ من الإشارة إلى دور الأصوليين في العملية ذاتها، فهذا السّيوطي يقول في مقدمة كتابه \*الاقتراح في أصول النّحو وجدله\* ( فهذا كتابٌ غريب الوضع، عجيب الصّنع، لطيف المعنى، طريف المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم أسبق إلى ترتيبه، ولم أتقدّم إلى تهذيبه، وهو أصول النّحو الذي هو بالنسبة إلى النّحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه...، واعلم أنّي قد استمدّيت في هذا الكتاب كثيرا من كتاب \*الخصائص\* لابن جنّي، وضمّمت إليه نفائس آخر ظفرت بها في متفرقات كتب اللغة والعربية والأدب وأصول الفقه، وبدائع استخراجها بفكري، وربّته على نحو أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم)<sup>74</sup>.

وقد ذهب إلى القول بأنّ الأصول النّحوية محمولة على الأصول الشرعيّة: ابن جنّي، والأنباري من القدامى، ومن المُحدثين أمين الخولي، وسعيد الأفغاني، ومازن المبارك، وأحمد محمد قاسم، وفاضل صالح السامرائي، وعلي أبو المكارم، ومحمد حسن عواد، وجميل علّوش، ومحمود أحمد نحلة، محمد سالم صالح<sup>75</sup>.

وأبرزُ مظاهر التأثير محاولة النّحاة وضع أصول النّحو على نمط أصول الفقه:

1. تطابق تعريفهم لأصول النّحو مع تعريف أصول الفقه.
2. مشابهة القياس النّحوي للقياس الشرعي في التعريف، والأركان، والأقسام، والعلة ومسالكها.
3. التشابه الكبير بين الإجماع النّحوي والإجماع الأصولي في التعريف، والأقسام.
4. مشابهة أقسام الحكم النّحوي لأقسام الحكم الفقهي.
5. نقل النّحاة كثيراً من المصطلحات الأصولية كالاستصحاب، والاستحسان، والاستدلال، والتعارض والترجيح<sup>76</sup>... الخ.

وإنّ نغفل فلن نغفل عمّا لعلوم الحديث النبوي ومناهجه من بعض التأثير في مجال النّصوص والسّماع، جمعاً واستقصاءً، نقداً وتوثيقاً، فقد اضطر النّحاة إلى الخوض في أحوال السند والمتن وطرق التحمل والأداء وأساليب الجرح والتعديل وأقسام الرواية، نظراً لكون النصوص التي يعالجونها مروية عن عصور سابقة، حتّى إنك لواجدٌ في كتبهم عبارات أهل الحديث ذاتها، نحو قولهم: (أخبرني الثقة، حدثني من لا أتهم...) <sup>77</sup>.

## 2. أثر العلوم الشرعية في دراسة علم البلاغة

ليس يخاف على أحد أنّ موضع علم البلاغة ( من علوم العربية، موضع الرأس من الإنسان، أو اليتيمة من قلائد العقيان، فهي مستودع سرّها، ومظهر جلالها...) <sup>78</sup>، ومع ذلك فلم ينشأ مكتمل الأبواب والمباحث شأنه شأن كل علم في

بدايته، حيث ظهر في صورة أفكار وملاحظات متناثرة في أحضان علوم أخرى سبقته إلى الوجود، وعلى رأسها العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، ذلك أنه ما أنشئ إلا لخدمة القرآن الكريم وإتقان اللغة وتعليمها والوقوف على أساليبها<sup>79</sup>.

ولا أدل على دور العلوم الشرعية في نشأة البلاغة من أن علماء الدراسات القرآنية كانوا بلاغيين بقدر ما كانوا مفسرين أو لغويين، وما من شك في أن أبا عبيدة، والفراء، والأخفش، وغيرهم من الأساطين كانوا ممن أسهموا في إرساء دعائم علم البلاغة، فتبكت كتبهم<sup>80</sup> ضمت إلى جانب العناية بالتركيب والأساليب اللغوية القرآنية كثيرا من الفنون البلاغية، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والاستفهام والتقديم والتأخير... إلخ<sup>81</sup>.

وقد ظلت العلوم القرآنية تمارس تأثيرها على علم البلاغة لفترة طويلة تجاوزت مرحلة النشأة إلى مرحلة النمو، ومرد ذلك إلى العلاقة الوطيدة التي تربطه بالإعجاز البلاغي للقرآن<sup>82</sup>، ألا إننا بعلم البلاغة (نعرف وجه إعجاز القرآن، وندرك ما فيه من خصائص البيان، ونفهم براعة أسلوبه، وانسجم تأليفه، وسهولة نظمه وسلامته، وعذوبته وجزالته، إلى أمثال تلك المحاسن التي أسالت على العرب الوادي عجزا، حتى خارت عقولهم، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم...)<sup>83</sup>، وعندئذ تبرز إلى الوجود جملة من الملاحظات والآراء والأفكار البلاغية، تبدأ متناثرة في ثنايا كتب التفسير، ثم ما تلبث أن تنمو وتنضج لتصبح أحد أبواب علم البلاغة، كما هو الشأن في كتابي:

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، الذي وإن صُنّف للرد على أولئك الطاعنين - جهلا منهم بأساليب العربية - الذين يزعمون أن بالقرآن الكريم تناقضا وفسادا في النظم واضطرابا في الإعراب، فإنه قد أسهم بنصيب موفور في تكوين علم البلاغة وتطويره عند استخراجها لما في القرآن الكريم من أنواع المجاز وتبويبها على جهة التفصيل<sup>84</sup>، فضلا عما يحظى به من قيمة تاريخية كبيرة كونه يُطلعنا على تلك الحلقة المفقودة في تاريخ علم البلاغة بين نثار الجاحظ وبديع ابن المعتز<sup>85</sup>.

(2) النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرُّماني، وهو وإن صغر حجمه يُعدُّ من أبرز كتب الإعجاز القرآني، وأحد أهم المصادر الأساسية في البلاغة، وعن مؤلفه يقول شوقي ضيف: (إنَّ الرُّماني أضاف في حديثه عن البلاغة إضافات جديدة إلى من سبقوه، فحدّد بعض فنونها تحديدا نهائيا، ورسم لها أقسامها رسما دقيقا)<sup>86</sup>.

هذا ويدعم العلوم القرآنية في هذه المهمة علم أصول الفقه الذي لم يقتصر نشاط أربابه على علم الفقه، بل كان لهم نشاط بلاغي ملحوظ لا يخطئه من يقرأ كتبهم قراءة عابرة، فضلا عن يقرؤها قراءة متأنية فاحصة، فقد كانت لهم عناية فائقة ببعض البحوث البلاغية، خاصة ما تعلق منها بالدلالة التي يُعوّل عليها كثيرا في التوصل إلى المقصد من وراء اللفظ، بُغية التوصل إلى ضبط مناهج استنباط الأحكام الشرعية.

وقد انتهت بهم تلك البحوث إلى نواح دقيقة لم يطرّفها أصحاب البلاغة أنفسهم أو لم يستوفوها، أو ظنوا أنّهم قد سبقوا إليها وما هم كذلك، حيث توّصلوا إلى وضع علامات يعرف بها المجاز، واستعملوا اصطلاحات بلاغية غير مسبوقة، كإطلاقهم مصطلح \* الوسط اللفظي \* على الألفاظ المكناة باعتبارها لا تحمل دلالة قطعية في ذاتها، وسبقوا البلاغيين المحدثين إلى القول بأن الحقيقة لا تعدو أن تكون استعمالا شائعا مألوفًا للفظ، وليس المجاز إلا انحرافا عن ذلك المألوف الشائع<sup>87</sup> فكشفوا عن عمق أصالة ورسوخ قدم في الدرس البلاغي، على اعتبار أنه أحد أدوات النظر الاجتهادي.



## 3. أثر العلوم الشرعية في فن الشعر

كان للشعر في نفوس العرب منزلة لا تساميهها منزلةً ومكانة لا تدانيها مكانةً فهو ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم واللسان الناطق بما لهم من فضلٍ وما هم عليه من مجدٍ أثيرٍ وعزٍ شامخٍ، به تفتح مغاليق الأنفس وتلين قساوة القلوب وتنال العطايا والهبات وتجزل المنح<sup>88</sup> وتعمر مجالس السمر ومحافل العلية<sup>89</sup>.

وقد دعا علماء الإسلام إلى المحافظة على الشعر الجاهلي وروايته وكتابته خوفاً من أن يندثر أو ورغبة منهم في فهم القرآن والحفاظ على لغته وبلاغته وإعجازها ولهذا قال ابن الخطاب: (عليكم بديوانكم لا تضلوا فقلوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم)، وفي قصة ابن عباس مع نافع بن الأزرق زعيم النجدات ما يؤكد احتفاء علماء الشريعة بالشعر<sup>90</sup>.

بيد أن رسالة الشعر قبل البعثة المحمدية كانت قد تحرفت في غالب أمرها عن الوضع الكريم الذي يليق بالإنسانية المهذبة العاقلة والخلق القويم الذي تصلح عليه الحياة ويستقيم به أمر المجتمع فكان يصف المرأة أقبح ووصفاً ويهتك الحرمات ويحرق الحجب والأستار ويشير العصبية ويوقد الحمية ويجرض على الاقتتال والتناحر ويبعث على التقاطع والتدابراً فكان بهذا السمت وهذه الروح من عوامل الهدم وأسباب الدمار التي مئيت بها الحياة العربية في الجاهلية<sup>91</sup>. وما إن ظهرت عقيدة الإسلام حتى كان للقرآن الكريم والسنة النبوية دور فعال في أن يُخلص الشعراء في وجهتهم وفي أن يُسلم مما كان يدنسه من قبل وتُنلُّ بُنبلُ أعراضه وأهمها:

1. الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومنافحة أعدائه، كما في شعر حسان بن ثابت وابن رواحة .
2. إبراز القيم الأخلاقية النبيلة، للمساهمة في البناء النفسي للفرد المسلم، كما شعر صالح عبد القدوس وأبي العتاهية.
3. تدوين المعارف الفقهية التشريعية في العبادات والمعاملات والعقود والأنظمة كما في شعر المتون.
4. تصوير سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخِلاله وعاداته وآدابه وسلوكه مع أهله ومع الناس ومع ربّه، كما في شعر الحافظ العراقي والبوصيري.
5. الفخر والتباهي بأجداد الأمة والتمدح بشجاعة أبنائها وبطولاتهم وانتصاراتهم على أعدائهم كما في شعر نعيم بن مقرن وكعب بن مالك.
6. محاربة الإلحاد والبدع والخرافات والفرق الضالة كما في شعر بن القيم والأخضري.
7. الإشادة بقيم وتعاليم وأنظمة وسبق الحضارة الإسلامية كما في شعر أحمد شوقي وعمر بهاء الدين الأميري.
8. الدعوة إلى التكافل الاجتماعي من خلال إبراز أهدافه ودوره في بناء الحياة وتعميرها وإصلاح النفوس وتقويمها.
9. الدعوة إلى تحقيق التضامن الإسلامي ونبذ ما من شأنه تمزيق الأمة وضرب وحدتها، كما في شعر شوقي وأحمد محرم .
10. الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى نصرته للإسلام وإعلاء لرايته وصيانة لبيضته، كما في شعر عبد الرحمن العشماوي وزاهر عواض الأملعي.
11. الأناشيد الإسلامية للترويح على النفوس وإلهاب الحماس وشحن الهمم، كما في شعر القرضاوي.

إلى جانب بعض الأغراض الحديثة كالسعي لحل مشكلات المسلمين في شتى أنحاء العالم ومحاربة التخلف الثقافي، ومواجهة حرب اللغة العربية<sup>92</sup>؛ وعندئذ صار الناس يعترفون بالشعر ويقدرّون رسالته وينصتون لحكمته وينوّهون بأثره حتى قال عمر بن الخطاب: أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته يستعطف بها قلب الكريم ويستملي بها قلب اللئيم.

وتجدر الإشارة إلى تأثير معاني الشعر تأثراً واضحاً بالقرآن والسنة وعلومها فغلب عليه :

1. العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعاني والأفكار .
  2. ظهور المعاني الإسلامية والعاطفة الدينية في الشعر وغلبتها عليه .
  3. الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار والأخيلة .
- وكذلك الشأن في أسلوبه وألفاظه فقد حدث تغيير واضح إذ تمّ:
1. هجر الوحشي والغريب والمبتذل والساقط والمملحون واستبدالها بالمصطلحات الشرعية.
  2. الإمعان في جمال السبك وعضوبته وأحكامه و تلاؤمه.
  3. الاقتباس من القرآن والسنة.
  4. جزالة الأسلوب وقوته وكثرة روائعه وصوره الأدبية والبيانية<sup>93</sup>.

#### 4. أثر العلوم الشرعية في النثر الفني

تضافرت نقول رواد الأدب القديم ومكونات كتب التاريخ واللغة والأدب على حفظ شيء كثير من الحكم، والأمثال، والوصايا، والخطب، والمحاورات، والمكاتبات التي تنسب إلى العصر الجاهلي، ومجموعها هو ما يعرف باسم النثر الفني؛ هذا الذي بلغ درجة عالية من الرقي والجودة وكان غاية في تصوير البيئة التي نتج فيها، ممثلاً لبساطتها وسهولتها. وإذا تجاوزنا عصر الجاهلية إلى عصر الإسلام، فسنلاحظ ظهور عوامل عدّة دفعت الحياة كلّها نحو وضع جديد كان له تأثير على تطوّر النثر الفني من حيث الأفكار والموضوعات والأساليب والمنهج العام<sup>94</sup>.

ومن ذلك ظهور الدعوة الإسلامية، واختلاف العرب إزاءها بين مؤيد ومعارض فكانت الحاجة ماسّة إلى الحجاج، والكلام، والخطابة، لتأييد الدعوة ونشر الرسالة، إلى جانب وُرود ألوان رائعة ومتعدّدة من المعاني الشريفة، والأساليب الرّفيعة، والألفاظ الساحرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، اقتدى الناس بهماً ونهلوا من موردتهما، وصاغوا أدبهم على مثالهما؛ وبذلك أخذ النثر ينمو ويزدهر بالتّسع أغراضه، واستحكام أساليبه وعضوبة ألفاظه، وعمق معانيه.

ومن أهم ما طرأ على النثر من مظاهر التطوّر:

أ- ما تعلق بالموضوعات التي تناوّلها وهي:

1. الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وبيان مبادئها وغايتها وأهدافها المثلى.
2. بيان الخطط السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية.
3. الخطابة في الأمور الجامعة، والحوادث المفاجئة، والمناسبات العديدة.

4. كتابة الرسائل والمخاطبات الدينية منها والسياسية.

وهذه الموضوعات جديدة لم تألفها العرب قبل توجيه الإسلام وعلومه للناس إليها.

ب- ما تعلق بأسلوب النثر الفني، حيث امتاز:

1. بحسن السبب، وجمال الوصف، وقوة النظم، وإحكام الفصول.
2. البعد عن الغرابة، والابتدال، والسجع المتكلف، والخطأ في مقامات الكلام، ومقتضيات الأحوال.
3. كثرة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف<sup>95</sup>.

### 5. أثر العلوم الشرعية في علم الترجمة

كان من الطبيعي أن تبدأ الحركة العلمية التي دعت إليها العلوم الشرعية بنقل معارف السابقين، فانكب العلماء على ترجمة مؤلفات الأمم السابقة، كال يونانية، والسريانية، والقبطية، والفارسية، والهندية وغيرها، وذلك بعد إتقان هذه اللغات، فاستطاعوا أن يصهروا تلك المعارف في بوتقة الفكر الإسلامي ليقدّموا للإنسانية حضارة إسلامية فريدة رائعة قبلت كل ما يتناسب مع عقيدتها وطوّرتة وأرفضت كل ما يتعارض معها فنبذته<sup>96</sup>.

كما كان الباعث على تعلم اللغات والترجمة هو حث الإسلام المسلمين على نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للناس، وكذا رجاء تحقيق الأمن ودفع شرور الغير، فمن تعلّم لغة قوم أمن شرهم.

ب. أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم العقلية والنفسية

#### 1) علاقة العلوم الشرعية بعلم المنطق

الاجتهاد بالرأي أصل من أصول الأحكام الفقهية عندما لم يرد نص شرعي في المسألة، وبذلك ارتقى البحث في الرأي عند علماء الشرع، فنظم ووضعت له قواعد وشروط وسمي بالقياس، والذي يستعمل على النحو التالي:

- 1) استنباط حكم الشيء من شبيهه وهو الاستدلال المباشر.
- 2) استنباط حكم القليل من حكم الكثير وهذا يشبه طريقة الاستقراء في المنطق الحديث.
- 3) استخراج علة أحكام مشتركة بين جزئيات مختلفة، وإثبات حكمها لواقعة لا نص على حكمها لاشتراكها معها في العلة نفسها، وهذا قريب الشبه بالقياس المنطقي<sup>97</sup>.

وعليه فعلم أصول الفقه يدعو بقوة إلى معرفة علم المنطق ويحث على تعلمه لاحتياجه له عند الاستنباط.

#### 2) علاقة العلوم الشرعية بعلم الفلسفة

على الرغم من أن القرآن الكريم لا يعتبر في جوهره كتاب فلسفة إلا أن آياته الكريمة تحض على النظر في ملكوت الله تعالى، والتأمل في بديع خلقه وعجائب صنعه، حتى تسهل عملية الاستدلال على وجود الخالق من آثار خلقه، فتكون الموجودات دالة على وجود موجدتها.

وحينما واجه الإسلام غيره من الديانات والنحل التي سبقته إلى الانتشار كان على حملة العلم والمثقفين من المسلمين أن يهبوا للدفاع عن دينهم بمواجهة الخصوم، فكان أن نشأت الفلسفة الإسلامية<sup>98</sup>.

## 3) أثر العلوم الشرعية في دراسة علم النفس

يُعدُّ علم النفس من العلوم التي حظيت باهتمام وعناية بالغين في العصر الحديث، وُحِيلَ إلى كثيرٍ من المفكرين أنّهم قد ازدادوا علماً بالنفس الإنسانية، وبلغوا حقيقة أمرها، وكشفوا سرّها وعرفوا جوهرها فإذا بهم يجدون علمهم سراً، إذ سرعان ما تهاوت جميع نظرياتهم ومدارسهم<sup>99</sup>، وقد اعترف بذلك أعلام الغرب بأنفسهم، إذ يقول إريك فروم: ( إنَّ علم النفس الحديث يهتمُّ في أغلب الأحيان بدراسة نواح تافهة وسطحية من سلوك الإنسان، ويغفل مشكلات الإنسان الهامة وقيمه العليا )<sup>100</sup>، ويقول ألكسيس كاريل: ( إنَّ معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية في الغالب )<sup>101</sup>.

والسبب الرئيس لهذا الانحراف والتخبُّط، إغفال التوجُّه الشرعي لهذا العلم الذي يمتاز بتأصل جذوره في مصدري الوحي، ذلك أنّ الحاجة إلى المعرفة الصحيحة بالنفس حاجة إنسانية أساسية، لأنَّ حياة الإنسان وبناء الأخلاقي، والتّسبي، والاجتماعي، يتوقّف عليها، وإنه لمن السّفه أن يُظنَّ ظانُّ أنّ الله تعالى قد خلق الناس وتعبدهم وكلفهم، ثم تركهم بدون علم صحيح بالنفس، وهو يعلم أنّ حياتهم لا تصلُّ إلّا بهذا العلم...، وعليه فإنَّ العلم الصحيح بالنفس لا يلتبس إلّا عند الأنبياء الذين أخذوا هذا العلم من خالق النفس الذي هو أعلم بها من أهلها،<sup>102</sup> الأمر الذي أدركه الوعاظ وعلماء التزكية، فسعوا إلى الحفاظ على سلامتها وعلاجها من آفات وأمراضها، وأول هذه الأمراض الذنوب والمعاصي لأنّها تُصيب النفس بالغمّ، والهَمّ، والحُزن، وضيق الصدر، والحياة الضنك، وحلول الغضب الإلهي، واستحقاق العذاب في الآخرة<sup>103</sup>، وأثناء ذلك توصّلوا إلى جملة من الآراء والنظريات غير المسبوقة، فكان لهم دورٌ كبير في تطوير علم النفس وتقدّمه، وعلى رأس هؤلاء ابن الجوزي، وابن عطاء الله السكندري، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن مفلح، و عبد الغني النابلسي... الخ<sup>104</sup>.

هذا وإنّ لباقي علماء الشريعة أثرٌ بارزٌ في علم النَّفس إلى حدِّ كبير، كعلماء العقيدة الإسلامية عند بيانهم لأثر الإيمان على النفس الإنسانية مثلاً، وعلماء المقاصد عند حديثهم عن حِكَمِ بعض العبادات كالصلاة، والذكر، والدُّعاء، فأمدنا الفريق الأوّل بأسلحة وقيّة النفس من الأمراض قبل وقوعها، وأمدنا الفريق الثاني بلوّنٍ من ألوان إفضاء الإنسان بمشكلاته وهمومه لتخفيف حدّتها<sup>105</sup>.

## ج. أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم الاجتماعية

## 1. أثر العلوم الشرعية في علم الجغرافيا

اهتم المسلمون بعلوم الأرض وخاصة علم الجغرافيا بإيحاء من القرآن الكريم كونه قد وصف الأرض وما فيها من جبال وأنهار وسهول ووديان... الخ مما تناولته علوم الجغرافيا وطبقات الأرض، قال تعالى: ﴿الرَّجَعِلِ الْأَرْضِ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْسِي شٰمِخٰتٍ وَأَسْقَيْنٰكُمْ مَآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ المرسلات: ٢٥ - ٢٧.

كما اهتموا بهذا العلم للبواعث التالية:

1. حرصهم على تأدية عباداتهم ومناسكهم من صلاة وصوم وحج على النحو الذي يرضي الله تعالى.

2. لتوثيق الصلات بين أبناء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف المتباينة التضاريس، وتطبيق الشريعة بالعدل بينهم.
3. لرغبتهم في معرفة الممالك والمسالك قصد وضع الخطط لمعارك الفتوح، ولمعرفة ما جاء في القرآن الكريم عن قصص الأولين<sup>106</sup>.

ومن ثم فإنه ومنذ القرن الأول للهجرة اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها لاتساع فتوحاتهم وعرفوا منذ ذلك الحين عمل الخرائط وقراءتها، فقد روي أن قتيبة بن مسلم الباهلي لما غزا بخارى واستعصى عليه فتحها، كتب بذلك إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق آنذاك، فكتب إليه الحجاج أن يرسم له خارطتها وما حولها ليشير عليه بطريقة فتحها<sup>107</sup>.

## 2. أثر العلوم الشرعية في علم التاريخ

وهو العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع وأوقاتها وأساليبها ومظاهر الحضارة وازدهارها وعوامل اضمحلالها وانهارها، وموضوعه الإنسان والزمان معا.

والمؤرخون المسلمون هم أول من أرّخ حوادثه باليوم والشهر والسنة، كما ربطوا تاريخهم بكل العلوم، بالأدب، والسياسة، والاجتماع، والفقه، والجغرافياً والرحلات... الخ.

وقد اهتموا بتدوينه للدوافع التالية:

1. لرغبتهم في معرفة تاريخهم السياسي والاجتماعي والثقافي... الخ.
2. لرغبتهم في معرفة كل ما يتصل بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا سير أعلامهم وسلفهم.
3. ليستعينوا به على تفسير القرآن الكريم وشرح السنة النبوية المطهرة، والاطلاع على تاريخ التشريع والفقه الإسلامي.
4. لتشجيع الخلفاء والأمراء وقادة الجيش ورجال الدولة والعلماء على تسجيل حوادث زمانهم لتطلع عليها الأجيال القادمة، فتستخلص منها الفوائد والعبر.

لهذا كله نشأ علم التاريخ الإسلامي نشأة طبيعية يمكن اعتبارها استجابة لحاجة المسلمين إليه، ف جاءت تأليفهم فيه غاية في النفاة والإحكام ويمكن الجزم بأن حظ جمهرة المؤرخين المسلمين من النزاهة والحياد لا سبيل إلى جحوده ونكرانه<sup>108</sup>.

## 2. أثر العلوم الشرعية في دراسة علم المحاسبة

قامت الحضارة الإسلامية على أساس تحقيق العدل بين الدولة ورعاياها من جهة، وبينها وبين الدول الأخرى من جهة ثانية، وقد بنت هذا الأساس بعد أن أرست له القاعدة الرّكيزة وهي تحقيق العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الأمة الإسلامية أنفسهم، كما أن الله تعالى أوجب الحفاظ على المال كونه أحد مقاصد الشريعة الإسلامية، لذلك اتجه الفقه الإسلامي إلى ضبط التصرف في المال ببيان آليات تملكه، وكيفية تداوله بين الناس، تحقيقاً للعدل المنشود، وقد كانت المحاسبة إحدى أهم الأدوات المستعملة لذلك الغرض حتى إن القلقشندي في صبحه اعتبر المحاسبين: (حفظة الأموال، وحملة الأثقال، والنقلة الأثبات، والسفرة الثقات، أعلام الإنصاف والانتصاف، والشهود المقانع في الاختلاف، ومنهم

المستوفي الذي هو يدُ السلطان، وقطب الديوان، وقسطاس الأعمال، والمهيمن على العمال، وإليه المآل، في السلم والهرج، وعليه المدار في الدَّخْل والخرَج، و به مناط الضَّر والنفع، وفي يده رباط الإِعطاء والمنع، ولولا قلم الحُسَّاب لأودت ثمرة الاكتساب، ولاتَّصل التغابن إلى يوم الحساب، ولكان نظام المعاملات محلولاً، وجرح الظلامات مطلولاً، وجيّد التناسف معلولاً، وسيف التَّظالم مسلولاً أعلى أن يراع الإنشاء مُتَقَوِّل، ويراع الحُسَّاب مُتَأَوِّل، والحساب مناقش<sup>109</sup>.

وإدراك الفقهاء الدَّور الاقتصادي للمحاسبة في الحياة الاجتماعية، كان منطلقه من القرآن الكريم، حيث وردت كلمة المحاسبة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من 90 مرّة، ولعلَّ أهمَّ آية في ذلك، آية المدائنة التي أُرست الأسس العريضة للأصول المحاسبية، ولا عَرَو في ذلك، فهي أطول آية في القرآن كُلِّه، ففيها علَّمنا الله سبحانه وتعالى آية الكتابة العادلة الصَّادقة، والغاية منها، وأوضح لنا بعض المعايير المحاسبية، كالدين، ومقداره، وأصله، وكتابتته، والإشهاد عليه، ووجوب عدالة كاتبه وحيدته، وواجبات المدين،... الخ.

ومُذ ذلك الوقت وعلم المحاسبة يترقَّى صعوداً، من خلال ما يكتبه فقهاء الإسلام، كأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، ومجي ابن آدم القرشي، وأبي عبيد بن سلام، وأبي جعفر الداوودي، وأبي جعفر الطحاوي، وابن قدامة، وابن رجب، والمارودي، والغزالي، وابن خلدون، والمقرئزي، و...، ويمكن إحصاء مراحل ذلك الترقّي في إطار الفقه الإسلامي على النحو التالي<sup>110</sup>:

- مرحلة الإحصاء والعدِّ: وتبدأ من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( اكتبوا لي مَنْ تَلَفَّظَ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسة رجل )<sup>111</sup>.
- مرحلة التدوين: وتبدأ بإحصاء عمر بن الخطاب للناس على أساس القربى من النبي عليه الصلاة والسلام والسَّبق في الإسلام بعد امتداد الفتح الإسلامي وكثرة الأموال المجتباة<sup>112</sup>.
- مرحلة تعريب الدَّواوين: وحدث ذلك زمن خلافة عبد الملك بن مروان على يد صالح بن عبد الرحمان<sup>113</sup>.
- مرحلة التأصيل لصناعة كتابة الحساب: وكان ذلك على يد النويري، الذي كان أوَّل مَنْ وضع دليلاً عملياً ومرجعاً علمياً للمحاسبة، حيث قال: ( فسألني بعض إخواني أن أضع في ذلك ملخصاً يعلم منه المباشر كيف المباشرة، ويستضيء به فيما يسترفعه أو يرفعه من ضريبة وموافرة )، وقال: ( لم أقف على كتابٍ في فنِّها مصنَّف، ولا انتهيت إلى فضل مُترجم بها أو مؤلَّف، ولا لمَحْتُ في ذلك إشارة، ولا سمعت من حلَّص منها عبارة، ولا مَنْ تفوَّه بينت شفة ولسان، ولا من صرف ببنان بلاغته في ميادينها العنان ).

هذا ويرجع تطوُّر المحاسبة في ظل الفقه الإسلامي إلى الأمور التالية:

- الحاجات التي فرضتها الشريعة الإسلامية بنصِّ الكتاب أو السنة أو الإجماع، ككتابة الديون، والعقود، والوفاء بها، والتميز بين أنواع الإيرادات، والاهتمام باستثمار أموال اليتامى، وتنظيم الأسواق لتطوُّر نظام الحسبة، واحتساب الأرباح والديون والزكاة والتركات والفترات المالية، وتنظيم بيت المال، وضرورة الإحاطة بفقه الوقف والميراث والوصايا والشركات والبيع، لا سيَّما بعد كثرة أنواعها.

• الحاجات التي أملتها الظروف الاقتصادية والسياسية، كاتساع الإدارة باتساع رُقعة الدولة جغرافياً وسكّانياً، وزيادة ثروات الدولة التّوعية والكمّية، وزيادة حجم التجارة بين البلاد الإسلامية وغيرها، واحتساب أرزاق الجيوش ورواتبهم وحاجياتهم...<sup>114</sup>.

لذا ينبغي تصحيح التاريخ المحاسبي، وإنصاف المسلمين، وإبراز إسهاماتهم ودورهم الفعّال فيه<sup>115</sup> وبدلاً من بدء التاريخ لعلم المحاسبة من الإيطالي لوقا باشيليو 1494م، علينا أن نتذكّر الخوارزمي، والغزالي، والمارودي، وابن خلدون، والمقرزي، والقلقشندي، والنويري... الخ ممّن سَطَرُوا المحاسبة فِكْراً وتطبيقاً منذ عام 900 م، أي قبل لوقا باشيليو بسبعمئة سنة على الأقل تحت اسم: كتابة الأموال، أو علم الكسب<sup>116</sup>.

### 3. أثر العلوم الشرعية في دراسة علم الاجتماع

يُعَدُّ ابن خلدون المؤسس الأوّل<sup>117</sup> لعلم العمران البشري، والمُعَبَّرُ عن نظريّة القرآن الاجتماعية بأسلوبه المتميّز، جرّاء تدبّره الاجتماعي لآيات القرآن، التي يمكن أن يُقاس على ما تتضمّنه من معاني يسهّل تطبيقها على الأحوال الاجتماعية، وساعده في ذلك تبخّره في علوم القرآن، والحديث، والفقه، وأصوله، ودرابته بأحوال النّاس كونه قاضياً يفصل في قضاياهم وخصوماتهم المختلفة<sup>118</sup>.

ومع ذلك فإنّ علماء المسلمين من فقهاء وقضاة وأهل حِسبة، قد استوحوا قبل ابن خلدون أصول النّظم الاجتماعية التي جاء بها الإسلام في القرآن والسنة، وإنّهم وإن لم يتوصّلوا إلى التّقسيم المعاصر لعلم الاجتماع (نظري وعملي)، فإنّ جهودهم في استخلاص ما تتضمّنه الآيات والأحاديث التي تتناول الظواهر الاجتماعية، كنظام الأسرة (من زواج، وطلاق، وميراث، وتربية أطفال...)، والنّظام المالي (من بيع وشراء وتعاقد ورهون...)، والنّظام الأخلاقي، والسياسي، ... تمثل الجانب النظري، أمّا الجانب العملي فتمثّله جهود القضاة، وأهل الحِسبة، والفقهاء، القائمين على تنفيذ حدود الله تعالى بالتحذير من الانحرافات وتصحيحها، عن طريق الفتاوى والأحكام القضائية بتنفيذ الحدود والتعازير، والعمل بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١١٤)</sup> آل عمران: ١٠٤.

ولا يفوتنا في الأخير أن نُشير إلى أنّ عقيدة التّوحيد تُعتبر أوّل الأصول التي تحكّم دراسة الظاهرة الاجتماعية وتُهيمن عليها، حيث يُفسّر في ضوئها حركة الفرد والمجتمع والأمة، والأمر نفسه مع العبادات بأنواعها، وبخاصّة تلك التي تُسهم في وحدة المجتمع، سواء في شكل صلاة الجماعة، أو حقوق الأموال بعامة كأداء الزكاة، والصدقات وغيرها، وفي هذا الشأن يقول الشيخ محمد صادق عرجون: (والإسلام في عقيدته، وعباداته، ونظمه الاجتماعية، حقيقة واحدة مرتبطة بعضها ببعض، لا تقبل التجزئة والتفريق، فعبادته كلّها إذا لم تقم على أساس عقيدة التوحيد الخاص كانت سراباً لا حقيقة له، ونظمه الاجتماعية في سياسته، واقتصاده، وأخلاقه، إذا لم يكن أساسها العقيدة والعبادات معا - وأجلّها الصلاة -، وهي ركن إخلاص العبادة لله تعالى، وتبّعها في الفضل أختها الزكاة، فهي ركن التكافل الاجتماعي الذي يجمع كلمة المسلمين على المواساة والتعاون الصادق، كانت أشباحاً لا روح فيها، وكانت أعمالاً آليّة لا تثمر في القلب أثراً)<sup>119</sup>.

## II - أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم الكونية

أ. أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم الطبية

## 1. أثر العلوم الشرعية في علم الطب

يرجع اهتمام المسلمين بالعلوم الطبية إلى النظر في أوامر الشرع ونواهيه الداعية إلى تحريم الإسراف في الأكل والشرب، وتحريم المسكرات، والعلاقات الجنسية الشاذة، وتحريم إتيان النساء في الحيض، والأمر بإتيان النساء في أماكن التناسل الطبيعية... مما يدعو إلى تأسيس علم الصحة لغذائية، ونظام الطب الوقائي اللذان يحفظان للإنسان صحته<sup>120</sup>. كما يرجع اهتمامهم به إلى تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم على التداوي، حيث قال: ( ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)<sup>121</sup>، ففي هذا الحديث تأكيد على أن لكل داء دواء، وتأكيد على ضرورة البحث والتفتيش على الدواء الناجع وطلبه لتحصيل العلاج الصحيح، وهذا الأمر حدا بالمسلمين إلى أن يهتموا بالعلوم الطبية، فوضعوا علم التشريح، واستخدموا التخدير في العمليات الجراحية، وأوقفوا النزيف الدموي، وأجروا عمليات لاستئصال السرطان<sup>122</sup>... إلخ.

## 2. أثر العلوم الشرعية في علم الصيدلة

نتيجة لاهتمام المسلمين بعلمي الطب والكيمياء جاء اهتمامهم بعلم الصيدلة، فكانوا أول من أنشأ مخازن الأدوية والصيدليات، وهم أول من أنشأوا مدرسة للصيدلة<sup>123</sup>، والدافع الكبير لهم في ذلك هو العلوم الشرعية وعلى رأسها علم مقاصد الشريعة الذي ينص على أن حفظ النفس من المقاصد الضرورية التي ينبغي مراعاتها والمحافظة عليها من جهتي الوجود والعدم، ولئلا تنعدم هذه النفس ولا تهلك إذا مرضت فلا بد من مداواتها<sup>124</sup>، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة علمي الطب والصيدلة، إذ الأول يشخص نوع المرض والثاني يعطي العلاج الناجع بإذن الله تعالى.

ب. أثر العلوم الشرعية في دراسة العلوم التطبيقية

## 1. علاقة العلوم الشرعية بعلم الكيمياء

إن رغبة المسلمين في التفقه في أمور دينهم دفعتهم إلى عمل دراسات تمت بصلة وثيقة وترتبط بعلم الكيمياء، فعندما راح المسلمون يناقشون موضوع طهارة الماء المستخدم في الغسل والوضوء والشرب، بحثوا مشاكل تأثير الأملاح والمواد التي يمر عليها الماء الجاري وكذلك الماء الساكن، كما درسوا تفاصيل تأثير الأواني التي كانوا يخزنون فيها الماء على طبيعة ذلك الماء وصفاته، ومن ألوان الدراسة التي أثارها التفقه في الدين تأثير الخمر على الأجسام وتحول الخمر إلى خل... إلخ<sup>125</sup>، ليصل الأمر بهم بعد ذلك إلى تأسيس الكيمياء الحديثة، واكتشاف الحامض الكبريتي، وماء الفضة، والبوتاس، وملح البارود، وتعيين الكثافة النوعية لكثير من الأحجار الكريمة، وإجراء تجارب عديدة لإيجاد العلاقة بين وزن الهواء والكثافة، والقيام بأبحاث حول الغرفة المظلمة (آلة التصوير) وكيفية استخدامها... إلخ<sup>126</sup>.

## 2. علاقة العلوم الشرعية بعلم الرياضيات

صاغ القرآن الكريم للمسلمين عقلية رياضية بالغة الدقة، قادرة على التصور والتحديد، وضبط الفرائض في الميراث والمعاملات وسائر مناسبات الحياة، فقد ذكر القرآن الكريم أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف



والمناسبة والتصنيف والمضاعفة، ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق وأن القرآن ليس من عنده، إذ لم يكن ممن تلقى الحساب ولا الهندسة، ولينشط المسلمين للاشتغال بعلم به قوام الحياة<sup>127</sup>.

ويؤكد ابن رجب الحنبلي البغدادي أن الحساب يُعدُّ ضرورياً في المعاملات، وقسمة الوصايا، والموارث وغيرها فيقول: (كذلك الحساب يحتاج إلى ما يعرف به قسمة الفرائض والوصايا والأموال التي تقسم بين المستحقين لها)<sup>128</sup>.

وبذلك فتحت علوم الشرع باب التقدم العلمي في علوم الحساب والرياضيات التي هي في واقع الأمر من أكبر الدعائم التي بنيت عليها الحضارة الإسلامية، حيث كان المسلمون أول من أوجد الإحصاء العشري، وعرفوا الصفر، ووضعوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتكروها مختلفة التركيب، واستعملوا لها الرموز، ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات، ووضعوا مؤلفات في الأحجام والمساحات وتحليل المسائل الحسابية بالتحليل الهندسي والتقدير العددي، وبحثوا في الزوايا وتقسيماتها، وفي محيط الدائرة، وفي المضلعات المنتظمة، وربطها بمعادلات جبرية، وقسموا الهندسة إلى عقلية وحسية<sup>129</sup>... الخ.

### 3. علاقة العلوم الشرعية بعلم الفلك

بدأ اشتغال المسلمين بالفلك حينما نزلت آيات القرآن الكريم توجه النظر إلى هذه الدراسة، كقوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ۝٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠ ﴾ يس: ٣٨ - ٤٠، وقوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ الواقعة: ٧٥ - ٧٦... الخ من الآيات التي توجه النظر إلى السماء وما فيها من أسرار، والنجوم وما تحويها من آيات، وتحقيقاً لذلك بنى المسلمون المراصد كمرصدي المأمون: ببغداد، وعلى جبل قاسيون بدمشق<sup>130</sup>.

كما كان للسنة الشريفة دور كبير في دفع المسلمين إلى دراسة علم الفلك، فعندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن مراحل القمر لم يجب القرآن بتفاصيل الأمور الفلكية المتعلقة بتزايد قرص القمر وتناقصه وخسوفه وكسوفه، ولم يفرض نظرية علمية معينة على عقول البشر لئلا يشل تفكيرهم، تاركاً لعقولهم كامل الحرية في بحث ذلك، فاكتمى بذكر فوائد القمر المتعلقة بشؤونهم العامة والدينية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۝١٨٩ ﴾ البقرة: ١٨٩، ولذلك يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: ( إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله ويحبون الله إلى الناس، والذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأهلة لذكر الله )<sup>131</sup>.

ويروى أن شخصاً جاء إلى الملك خوارزم شاه وقال له: ( يا ملك إننا وجدنا الشمس تطلع متواصلة - وذلك في القطب الشمالي - فلم يصدقهم وهم بقتلهم، ولكن العلامة البيروني تلا عليه قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدها تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ ﴾ الكهف: ٩٠.

ولهذا كان المسلمون يرون أن علم الفلك من فروض الكفايات، بل عدّه بعضهم من فروض الأعيان لأن أوقات الصلاة والزكاة والصوم والحج تعرف به<sup>132</sup>، وبهذا استطاع المسلمون رصد الكواكب والنجوم، ودراسة حالتي الكسوف والخسوف، ووضعوا جداول لحركة الكواكب، وقالوا بدوران الأرض وكرويتها وأخترعوا آلة الرصد (التلسكوب)<sup>133</sup>... تلك هي أهم مظاهر حضارة الإسلام، جاءت نتيجة جهد جهيد، وعمل جادّ ودؤوب، وتجلّت بأبهى الصور، ومنتهى القوة والعظمة، لما كانت على أتم الاستعداد للدّرس والبحث والإبداع، لكن لما فرحت بما أوتيت، وغرقت في إشباع ملذّاتها وشهواتها، وانشغلت بقطف الثمار فقط، انتكست وانكسرت وزال سلطانها، وأتى على المسلمين حين من الدهر بعد انغلاقهم الفكري، ومنعهم الاجتهاد، وشيوع بعض الفتاوى بذلك، فتساءلوا عن حكم الشرع في دراسة العلوم الكونية والإنسانية، بعد أن استيقظوا على تفوق الغرب عليهم وبلوغه أقصى مراتب البراعة فيها.

#### نتائج الدراسة وتوصياتها

- قامت الحضارة الإسلامية منذ نشأتها على مرتكزات عدّة، كان العلم أهمّها، وبه سادت الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم.
- يختلف مفهوم العلم في الإسلام عن المفهوم الغربي، من حيث مصادره، ومناهجه، وغاياته .
- كان للعلم في نفوس المسلمين قداسة كقداسة العقيدة.
- أكبر مقياس تقاس به روح الأمة ومبلغ ما يجري من دلائل الحياة فيها، هو تقديرها للعلم والعلماء وما يتجلى تبعاً لذلك في تأليفها، وندواتها، ومدارسها... .
- النهضة العلمية ثمرة من الثمار الكبرى التي تفوز بها الأمم في فترات مجيدة من حياتها ومسيرتها، ولا تتحقق إلا بمجهودات واعية ومخلصة، تتضافر على دفع الحياة في شتى مجالاتها.
- إن رسالة التعليم رسالة حضارية من أسمى الغايات الإنسانية وأنبؤها أول أدوات الارتقاء بالإنسان
- إن الإسلام عقيدة ومنهاجا، شريعة وشعيرة، عبادة، وقانونا، وأخلاقا، كان ولم يزل وسيظل قوة دافعة للحركة الحضارية بكل جوانبها.
- تمتلك الأمة رصيذا فكريا ضخما قادرا على دفع عجلة التقدم إلا أنه تعرض ولا يزال للتجاهل من خصومه بل ومن أهله، وقد وصل هذا التجاهل إلى درجة الازدراء والتحفيز وعدم الاعتراف.
- وإن استفاد علماء الإسلام من ثمار الحضارات السابقة، كالفرس، والرومان والإغريق والفراعنة، والبابليين...، فإن دورهم لم يقتصر على النقل فقط، بل تجاوز ذلك إلى الدراسة والفحص والشرح والنقد وتصويب الأخطاء، ثم الإبداع والابتكار، فكانوا أشبه بالنحلة التي استنشقت عبق الأراحيق والأزاهير، فأنتجت شرابا مختلفا ألوانه، فيه شفاء للناس.
- لم يحصر المسلمون دائرة معارفهم وعلومهم في العلوم الدينية فحسب، بل أبدوا براعتهم في علوم حديثة كثيرة، كالجغرافيا، والتاريخ، والرياضيات، والفلك، والطب، والكيمياء، والصيدلة... .

- لا تقل أهمية العلوم الكونية عن العلوم الشرعية بل قد يرتبط بها من النتائج ما يجعل معرفتها أولى بالتقديم من الاستبحار في العلوم الشرعية.
- العلم الذي هو فريضة ليس العلم الشرعي وحده، وإنما كل علم نافع دينياً كان أو دنيوياً.
- لم يشعر المسلمون قط أن الدنيا تنفصل في إحساسهم عن الآخرة أو أن الدين ينفصل عن الحياة، فانطوى علمهم على جانبي الدنيوية والأزلية في آن واحد، واستهدف خدمة الحياة الإنسانية في هذا العالم الأرضي، في إطار تركز أصوله على النظر إلى عالم السماء والأرض، واستخلاص العبرة من نظامه المحكم وقوانينه الأزلية
- إن جميع العلوم ذات صلة وثيقة بعلوم الشريعة ذلك أن الباعث الديني لدى المسلمين هو الذي فتح أبواب العلم للعالم أجمع لا الأمة الإسلامية فقط.
- العلم الحق هو الذي يهدي إلى الإيمان، والإيمان الحق هو الذي يفسح مجالاً للعلم، فهما شريكان متفاهمان، بل أخوان متعاونان.

#### التوصيات :

- ضرورة العناية بعملية التأصيل الإسلامي للعلوم.
- وجوب نبذ السياسات المقلدة للسياسة الغربية في التفكير العلمي، مع الاهتمام بالأساليب التعليمية الإسلامية المحققة لروح الإبداع.
- وجوب العناية الفائقة بالعلم ودفع الناشئة لاقتفاء آثار من سبقهم من أجدادهم المؤسسين له، واستعادة رايته مرة أخرى.
- ضرورة العناية بالتعليم الصحيح لأنه حجر الزاوية في التقدم المستمر والتطوير الدائم.
- وجوب العمل على إبراز المعطيات التي قدمها الفكر الإسلامي للفكر الإنساني، وبعث القيم الاجتماعية التي خلفتها الثقافة الإسلامية.

#### الهوامش:

<sup>1</sup> شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1 سنة 1994، ص 190 فما بعدها؛ محمد الزحيلي: مرجع العلوم الإسلامية، دار المعرفة، دون ذكر البلد ورقم الطبعة وسنة النشر، ص 5.

<sup>2</sup> علاء الدين بن اللحام: القواعد، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1415هـ / 1994م، ص 134.

<sup>3</sup> فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، ج 4، ص 180؛ يوسف مروة: العلوم الطبيعية في القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1387هـ / 1968م، ص 71.

<sup>4</sup> فبالاطلاع سواء على العهد القديم أو العهد الجديد لا تكاد تقع العين على كلمات: العقل أو الفكر أو النظر أو البرهان أو العلم أو الحكمة أو ما اشتق منها أو تفرع عنها.

- <sup>5</sup> يوسف القرضاوي: الرسول والعلم، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، دون ذكر رقم الطبعة، سنة 1984م، ص3؛ العقل والعلم في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1421هـ / 2001م، ص 74، 75.
- <sup>6</sup> رواه ابن ماجه .
- <sup>7</sup> رواه الطبراني.
- <sup>8</sup> ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة،
- <sup>9</sup> رواه أبو داود والترمذي.
- <sup>10</sup> رواه الحاكم والطبراني.
- <sup>11</sup> رواه البخاري.
- <sup>12</sup> شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 439.
- <sup>13</sup> محمد عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3 سنة 1988، 1989، ص 206.
- <sup>14</sup> قال أبو معاوية الضرير: أكلت مع الرشيد يوما، فصب الماء على يدي رجل، فقال لي: يا أبا معاوية! أتدري من صب الماء على يديك؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين، قال: أنا، فقلت: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ فقال: الرشيد: إنَّما أردت تعظيم العلم.
- <sup>15</sup> عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 8، سنة 2003م ص 466.
- <sup>16</sup> محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق، ص 207؛ شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 442.
- <sup>17</sup> يحيى حربة: مشاهير الأوائل، دار المحبة، دمشق، سوريا، ط 1، سنة 1413هـ / 1993م، ص 55.
- <sup>18</sup> يوسف القرضاوي: العقل والعلم في القرآن الكريم ص 147؛ محمد شديد: منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1397هـ / 1977م، ص 115.
- <sup>19</sup> عبد الحميد بن باديس: أيها المسلم الجزائري، مجلة الشهاب، العدد ، سنة 1926م.
- <sup>20</sup> فريد الأنصاري: أبعاديات البحث في العلوم الشرعية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط 1، سنة 1324هـ / 2002م، ص 186.
- <sup>21</sup> عبد الرحمن بن خلدون: مرجع سابق، ص 345، 346.
- <sup>22</sup> شوقي أبو خليل: مرجع سابق ص 1587؛ طه عبد المقصود أبو عيبة: الحضارة الإسلامية - دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 2004، ج 2، ص 953 .
- <sup>23</sup> محمد الزحيلي: مرجع سابق، ص 7 .
- <sup>24</sup> طه جابر العلواني: خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، سنة 1989، ص 16، 17.
- <sup>25</sup> عبد الحميد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1991، ص 119، 120.
- تقي الدين أحمد بن تيمية: مجموعة الفتاوى، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط 2، سنة 2001م، ج 20، ص 27.
- <sup>27</sup> المرجع السابق: ج 20، ص 28، 29.
- عبد الرحمن الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، سنة 1992، ص 607، 608.
- <sup>29</sup> عبد الحميد أبو سليمان: مرجع سابق، ص 113، 118.
- <sup>30</sup> محمد الزحيلي: مرجع سابق، ص 7.

- <sup>31</sup> عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، سنة 19م، ص.
- <sup>32</sup> عبد الكريم بكار: فصول في التفكير الموضوعي أدار القلم، دمشق، سوريا، ط 2، 1419هـ/ 1998م، ص 65.
- <sup>33</sup> السابق، ص 45؛ 66 - 69؛ 105 فما بعدها.
- <sup>34</sup> ياسر الشمالي: الواضح في مناهج المحدثين، دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، ط 2، سنة 2003م. ص 66 فما بعدها.
- <sup>35</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1، سنة 1423هـ/ 2002م، ص 64.
- <sup>36</sup> آل عمران / 66، انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 32، سنة 1423هـ/ 2003م ج 1، ص 411، 412.
- <sup>37</sup> يونس / 39، انظر: انظر: السابق، ج 3، ص 1794.
- <sup>38</sup> يوسف / 76، انظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، قصر الكتاب، لبلدة، الجزائر، ط 5، سنة 1411هـ/ 1990م، ج 2، ص 63.
- <sup>39</sup> الإسراء / 85. انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1420هـ/ 2000م، ج 5، ص 210.
- <sup>40</sup> طه / 114، . انظر: السابق: ج 6، ص 166.
- <sup>41</sup> ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون ذكر رقم الطبعة ولا تاريخها، ص 42.
- <sup>42</sup> رواه مسلم.
- <sup>43</sup> وهو ما يعرف بالدوغماتية.
- <sup>44</sup> ابن خلدون: مرجع سابق، ص 362.
- <sup>45</sup> محمود إسماعيل مشعل: أثر الخلاف الفقهي في القواعد المختلف فيها، دار السلام، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1428هـ/ 2007م، ص 86، 87.
- <sup>46</sup> عادل الشويخ: تحليل الأحكام، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، مصر، دون ذكر رقم الطبعة، سنة 1420هـ/ 2000م، ص 277.
- <sup>47</sup> دولت عبد الرحيم إبراهيم: الاتجاه العلمي والفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دون ذكر رقم الطبعة، سنة 1995، ص 297.
- <sup>48</sup> رواه الطبراني.
- <sup>49</sup> عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص 63 - 65.
- <sup>50</sup> عبد الكريم بكار: مرجع سابق، ص 51.
- <sup>51</sup> أبو بكر كافي: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليقها، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1421هـ/ 2000م، ص 38، 363.
- <sup>52</sup> رواه أبو يعلى.
- <sup>53</sup> عبد الكريم بكار: مرجع سابق، ص 87.
- <sup>54</sup> أكرم ضياء العمري: منهج النقد عند المحدثين مقارنة بالمشولولجيا الغربية، مؤتمر المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، المنعقد في الخرطوم (السودان) بالتعاون مع جامعة الخرطوم، في الفترة من 15 - 21 من جمادى الأولى 1407هـ/ الموافق 15 - 21 من يناير 1987م، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1412هـ/ 1992م، ج 2، ص 191.
- <sup>55</sup> الجاحظ: الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، لبنان، دون ذكر رقم الطبعة، سنة 1978م، ج 6، ص 35، 36؛ وينسب هذا القول أيضا إلى إبراهيم النظم.
- <sup>56</sup> المرجع السابق، ص 35.
- <sup>57</sup> محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق، ص 205، 206.
- <sup>58</sup> محمد مقبل علييات: التعليم التقني - المهني وصلته بالتربية الإسلامية، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المنعقد في عمان (المملكة الأردنية الهاشمية) بالتعاون مع جامعة اليرموك، وجامعة مؤتة، وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، في الفترة من 2 - 5 من محرم 1414هـ/ الموافق 24 - 27 من يوليو 1990 منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1411هـ/ 1991م، ج 1، ص 462 - 474.

<sup>59</sup> علاء الدين بن اللحام: مرجع سابق، ص 134.

<sup>60</sup> كالكشكشة التميمية، والسكسكة البكرية، والشنشة التعلبية، والغمضة القضائية، والطمطانية الحميرية، والرتة العراقية، إلى جانب الانحرافات التي لم تنسب إلى قبيلة بعينها كالفأفة، والتممة، والعقلة، والحبسة، واللفف، والارتضاح والرطانة، والغنة، واللكنة، والترخيم... محمد الحبش: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 1 سنة 1419هـ/1999م، ص 29-30.

<sup>62</sup> أي تقدّم وسبق.

<sup>63</sup> محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، دون ذكر رقم الطبعة، سنة 1394 هـ.

1974م/ ج 1، ص 12

<sup>64</sup> بقوله: (وإنما قدمنا أهل البصرة أولاً لأن علم العربية عنهم أخذ)؛ الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2 سنة 1422هـ/2002م، ص 102.

<sup>65</sup> طه عبد المقصود: مرجع سابق، ج 1، ص 189.

<sup>66</sup> جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة،

<sup>67</sup> ياقوت الحموي: معجم الأدباء،

<sup>68</sup> محمود بن عمر الزمخشري: شرح المنفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1422هـ/2001م، ج 2، ص 82-83.

<sup>69</sup> ابن خلدون: مصدر سابق، ص 470.

<sup>70</sup> محمود بن عمر الزمخشري: مرجع سابق، ج 1، ص 60.

<sup>71</sup> كسؤاله لأبي سعيد الفراء: (ما تقول في رجل صلى فسها في صلواته وسجد سجدي السهو، فسها فيها فتفكر الفراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه، فقال له محمد: لم؟ قال الفراء: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدة السهو تمام الصلاة، وليس للتمام تمام، فقال محمد: ما ظننت أن آدمياً يلد مثلك.

<sup>72</sup> كمنظراته مع الكسائي، ومنها: تناظرهما حول ما يلزم الشاعر في قوله: (فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم)، إذا رفع ثلاث وإذا نصبها؛ وكتناظرهما حول الفرق بين (إن) و (أن) في قول من قال لزوجته: أنت طالق إن دخلت الدار؛ انظر لهذا الهامش وللذي قبله: أبو القاسم الزجاجي: مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3 سنة 1420 هـ/1999 م، ص 191-121، 259. كما كان للفقيه الشافعي ابن الحداد المصري، ليلة في كل يوم جمعة يتكلم فيها عنده في مسائل الفقه على طريق النحو وكان أبو جعفر النحاس النحوي لا يدع حضور المجلس.

<sup>73</sup> محمد حسن عواد: مقدمة تحقيقه للكوكب الدرّي فيما يتخرج على الصول النحوية من الفروع الفقهية، للإسنوي، دار عمار، عمان، الأردن، ط 1، 1985م، ص 8 فما بعدها.

<sup>74</sup> في أعلى كتاب: أبي عبد الله الفاسي: فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تحقيق: محمد يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط 2، سنة 1423 هـ/2002م، ج 1، ص 179-196.

<sup>75</sup> محمد سالم صالح: أصول النحو - دراسة في فكر الأبياري -، دار السلام، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1427هـ/2006م، ص 96، 97.

<sup>76</sup> السابق، ص 100-111.

<sup>77</sup> قال الأستاذ سعيد الأفغاني: وقد علمت أن علماء العربية احتذوا طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتحريرهم وتعديلهم وطرق تحمل اللغة؛ السابق، ص 101.

- <sup>78</sup> أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط 1، سنة 1425هـ/ 2004م، ص 7.
- <sup>79</sup> أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 2، سنة 2000م، ص 7.
- <sup>80</sup> كمعاني القرآن، وإعجاز القرآن، ومجاز القرآن، ومتشابه القرآن... إلخ.
- <sup>81</sup> طه عبد المقصود: مرجع سابق، ص 204 - 205.
- <sup>82</sup> وهذا هو الوجه الأمثل من بين عديد الوجوه في سبب إعجاز القرآن الكريم والذي لم يجد سبيلا إلى الطعن فيه أحد.
- <sup>83</sup> أحمد مصطفى المراغي: مرجع سابق، ص 7.
- فأتى بباب الاستعارة، ثم باب المقلوب، وباب الحذف والاختصار، وباب تكرار الكلام، والزيادة فيه، وباب الكناية والتعريض، وباب مخالفة
- <sup>84</sup> ظاهر اللفظ معناه...
- أحمد صقر: مقدمة تحقيقه لكتاب: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3 سنة 1401هـ/ 1981م، ص 76 - 83.
- <sup>85</sup> شوقي ضيف: البلاغة العربية تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 6؛ نقلا عن طه عبد المقصود: مرجع سابق، ص 208.
- السيد احمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دون ذكر رقم الطبعة، سنة 1996م، ص 168 - 169.
- <sup>86</sup> دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: من أنت؟ قال أنا ابن هرم بن سنان، قال: صاحب زهير، ثم قال: أم إنه كان يقول فيكم فيحسن، قال: كنا نعطيه فنجزل، قال: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.
- <sup>87</sup> فقد كان الخلفاء يرعونه ويتذوقونه، بل كانوا نقادا كبارا فيه، فأبو بكر يقدم النابغة الذبياني ويعلل بأنه أحسنهم وأعدبهم بحرا وأبعدهم قعرا؛ وكان عمر يقدم زهيرا، لأنه لا يعاقل في الكلام، ويتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه؛ وكان علي يقدم امرأ القيس ويقول: هو أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة.
- <sup>88</sup> السيوطي: الإتقان في علوم القرآن تحقيق إبراهيم أبو الفضل،
- <sup>89</sup> محمد عبد المنعم خفاجي: مصادر الأدب، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1412هـ/ 1992م، ص 155-156.
- <sup>90</sup> علي علي صبح: معالم الأدب الإسلامي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1412هـ/ 1992م، ص 42 - 64.
- <sup>91</sup> محمد عبد المنعم الخفاجي: مرجع سابق، ص 161-162.
- <sup>92</sup> طه عبد المقصود: مرجع سابق، ج 1، ص 219، 220.
- <sup>93</sup> محمد عبد المنعم خفاجي: مصدر سابق: ص 150 - 152.
- <sup>94</sup> محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق، ص 213، فبا بعدها.
- <sup>95</sup> علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1978م، ص.
- <sup>96</sup> محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق، ص 206.
- <sup>97</sup> سواء مدرسة التحليل النفسي أو المدرسة التحليلية أو المدرسة السلوكية أو المدرسة الميكانيكية انظر: محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 6، سنة 1403 هـ 1983م، ص 18 - 23.
- <sup>98</sup> محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1402هـ، ص 39.
- <sup>99</sup> ألكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط 3، سنة 1983م، ص 17.
- <sup>100</sup> محمد رشاد خليل، علم النفس الإسلامي العام والتربوي (دراسة مقارنة)، دار القلم، الكويت، ط 1، سنة 1407هـ، ص 39.
- <sup>101</sup> مصطفى حلمي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1426هـ/ 2005م، ص 106.

- <sup>104</sup> انظر موسوعة علم النفس في التراث الإسلامي لمجموعة من الأساتذة، والصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، في ثلاثة أجزاء، والتي تبرز الدور العالي للعلماء والمفكرين المسلمين في مجال الدراسات والنظريات النفسية.
- <sup>105</sup> مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص 116-117.
- <sup>106</sup> أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، سنة 1404هـ/1984م، ص 110، 111.
- <sup>107</sup> المرجع نفسه.
- <sup>108</sup> طه عبد المقصود أبو عبيدة: مرجع سابق، ج 1، ص 232 فما بعدها؛ شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 478.
- <sup>109</sup> الفلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، ج 1، ص 57.
- <sup>110</sup> ماهر مظهر قنطججي: فقه المحاسبة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1425 هـ - 2004 م، ص 48-49.
- <sup>111</sup> رواه البخاري.
- <sup>112</sup> فقد روى عابد بن يحيى عن الحارث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تُقسَّم في كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تُمَسِّك منه شيئاً، وقال عثمان رضي الله عنه: أرى ما لا كثيراً يسع الناس، وإن لم يُخصوا حتى يُعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشية أن ينتشر الأمر، فقال خالد رضي الله عنه: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دَوَّنوا ديواناً، وجنَّدوا جنوداً، فأخذ بقوله، ولما استقرَّ ترتيب الناس في الدواوين على قَدَرِ النَّسَبِ الْمُتَّصِلِ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فَضَّلَ بينهم في العطاء على قدر السابقة في الإسلام).
- <sup>113</sup> كان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان أن يقول: (لله در صالح ما أعظم منته على الكُتَّاب).
- <sup>114</sup> سامر مظهر قنطججي: مرجع سابق، ص 61.
- <sup>115</sup> فمن الأولى أن تنطلق المحاسبة من أصول الشريعة ثم لا يضيرها بعد ذلك أن تستفيد من العلوم الأخرى مما لا يتناقض مع الثوابت من استخدام للمناهج العقلية أو التجريبية أو كليهما، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها.
- <sup>116</sup> سامر مظهر قنطججي: مرجع سابق، ص 60 - 234.
- <sup>117</sup> تعرَّض البن خلدون لغمط حقه في هذه القضية، إذ لم يعترف له بتلك الأسبقية، إلَّا في سنوات متأخرة.
- <sup>118</sup> حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني - قواعد المنهج، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، سنة 1981م، ص 191.
- <sup>119</sup> محمد الصادق عرجون: سنن الله في المجموع من خلال القرآن، دار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 1، ص 58.
- 59.
- <sup>120</sup> محمود السعيد الكردى: مبادئ العلم في الإسلام، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1991، ص 112.
- <sup>121</sup> رواه البخاري.
- <sup>122</sup> محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق، ص 259 فما بعدها.
- <sup>123</sup> شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 521.
- <sup>124</sup> زياد محمد احمدان: مقاصد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1425هـ/2004م، ص 145.
- <sup>125</sup> محمد جمال الدين الفندي: رسالة العلم والإيمان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة الخبراء، 9 ذو الحجة 1393هـ/23 ديسمبر 1974م، ص 12.
- <sup>126</sup> شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 523.
- <sup>127</sup> عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، دون ذكر رقم الطبعة ولا السنة، ج 2، ص 175.



- <sup>128</sup> أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، دون ذكر رقم الطبعة ولا تاريخها، ص 171.
- <sup>129</sup> شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 541 فما بعدها.
- <sup>130</sup> طه عبد المقصود أبو عيبة: مرجع سابق، ج 1، ص 341.
- <sup>131</sup> عبد الحي الكتاني: مرجع سابق، ج 2، ص 312.
- <sup>132</sup> عبد الحي الكتاني: مرجع سابق، ج 2، ص 312.
- <sup>133</sup> شوقي أبو خليل: مرجع سابق، ص 546، 547.